وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

فهرس

العصر العباسى الثانى

الأدب فى خراسان والعراق

(أ) الشعر

١ ــ الشريف الرضى[1]

قال يتغزل :

يا ظبيةَ البانِ تَرْعَى فى خمائله ... ليهنكِ اليومَ أنّ القَلْبَ مَرْعاكِ[2]
الماءُ عندَكِ مبذُولٌ لشاربه ... وليس يَرْويكِ إلا مَدْمَعِى الباكى[3]
هَبَّتْ لنا من رياحِ الغَوْرِ رائحةٌ ... بعد الرُّقادِ عَرَفْناها بَرَيَّاكِ[4]
ثم انْثَنَيْنا إذا ما هزَّنا طرَبٌ ... على الرِّحالِ تَعلَّلْنا بذِكراكِ
سَهْمٌ أصابَ وَرامِيه بِذِى سَلَمٍ ... مَنْ بالعراقِ ، لقَدْ أبعدْتِ مَرْماكِ[5]

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح فى الاعتدال واللين . والخمائل : جمع خميلة وهى الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع فى العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهى المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

حكتْ لحاظُك ما فى الرِّيم من مُلَح يوم اللقاء ، وكان الفضلُ للحاكى (١)
كأنَّ طَرْفَكِ يوم الجِزْعِ يُخبرُنا بما طَوَى عنك من أسماء قتلاك (٢)
أنت النعيمُ لقلبى والعذاب له فما أمرَّك فى قلبى وأحلاك
عندى رسائلُ شوق لست أذكرها لولا الرقيبُ لقد بلّغتُها فاك

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدولة البُوَيهىّ وأنفذها إليه وهو فى البصرة ، وقد فتحها فى آخر سنة ٣٩٤ هـ :

ألْهاكِ عنَّا ربّةَ البُرْقُعِ مَرُّ الثلاثين إلى الأربعِ (٣)
أنتِ أعنْتِ الشيبَ فى مَفْرِقى مع الليالى ، فصِلى أو دعى (٤)
يا حاجةَ القلْب ألَمْ ترْحمِى جنايةَ الدمع على مدمَعى ؟
لولا ضلالاتُ الهوَى لم يكُنْ عِنانُ قلبى لك بالأطوعِ (٥)
كيف طوَى دارَكِ ذُو صبوة عَهْدى به يطرَب للمرْبَعِ (٦)
كان يَرى ناظرُهُ سُبَّةً أنْ مرَّ بالدار ولَمْ يَدْمَعِ (٧)

---

(١) الريم : الظبى الخالص البياض .
(٢) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .
(٣) أى من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤
(٤) المفرق : وسط الرأس ، وهو المكان الذى يفرق عنه الشعر . أى أن حبك أهمنى فجعل الشيب يسرع فى رأسى فوق فعل الليالى به .
(٥) العنان بالكسر : سير اللجام ، أى : لولا حبى إياك لم يكن قلبى طوعا لك .
(٦) طوى دارك : مر بها وحاذاها . والمربع المكان الذى ينزل به وقت الربيع ، ويراد به هنا الدار مطلقة ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .
(٧) السبة هنا : العار . والمراد بالناظر : العين .

يا حبـــذا منك خيالٌ سَرَى فَدلهُ الشـوقُ على مضجَعى
باتَ يُعاطينى جنى ظَلمـــه وبِتُّ ظمآنَ ولم أنقعِ[١]

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى فى أحد مجالسه :

لله يومَ أطلعتك به العـــلا عَلَمًا يُزَاوَلُ بالعيون ويُرْشَقُ[٢]
لما سَمت بك غرةٌ مَرْمُوقَةٌ كالشَّمْس تَبْهَرُ بالضِّياء وتُومَقُ[٣]
وبرزْتَ فى بُرْد النَّبىِّ ، وللهُدَى نورٌ على أسرار وجهك مُشرِقُ[٤]
وكأنّ دارَكَ جنةٌ حَصْبَاؤُهَا الـ جادىُّ أو أنماطها الإستبرق[٥]
فى مَوْقفٍ تَغضى العُيونُ جلالةً فيـــه ويعْثُرُ بالـكلام المنطقُ[٦]
والنَّاسُ : إما راجعٌ متهيِّبٌ مما أرى ، أو طالع مُتشَوِّقُ
مَالُوا إليْك محَبَّةً ، فتجمَّعُوا ورأوا عليْك مَهابةً ، فتفرَّقُوا

---

(١) الظلم : تلالؤ أسـنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع : أى لم أرو ظمئى .

(٢) العلم : الجبل . ويزاول : يطلب .

(٣) الغرة : الوجه : ومرموقة : تتجه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق : تحب وتعشق

(٤) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٥) الحصباء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط ، والإستبرق : ثياب حريرية .

(٦) تغضى : تغمض .

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغيْرِ العُـلا منِّى القِلَى والتجنُّبُ ... ولوْلا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ أرغبُ (١)
إذا اللهُ لم يعـــذرْك فيما ترومُهُ ... فما الناسُ إلا عاذلٌ ومُؤنِّبُ
مَلـكْتُ بحلمِى فُرصةً ما استرقَّها ... من الدهر مفتولُ الذِّراعيْن أغْلبُ (٢)
فإنْ تَكُ سنى ما تطاول باعُها ... فلى من وراءِ المجـد قلبٌ مُذرَّب (٣)
فحسْبِىَ أنى فى الأعادى مُبغَّضٌ ... وأنى إلى غُرِّ المعـــالى مُحبَّبُ
وللحلْمِ أوقاتٌ ، وللجهـل مثلها ... ولـكنْ أيّامى إلى الحلْمِ أقرَبُ (٤)
يصـولُ علىَّ الجاهلون ، وأعْتَلى ... ويُعْجِمُ فىَّ القـائلون ، وأُعرب (٥)
يَروْن احتمالى غُصَّـــةً ، ويزيدُهم ... لواعجَ ضغْنٍ أنَّنى لستُ أغضب (٦)
وأعرضُ عن كأسِ النديم كأنها ... وَميضُ غمـامٍ غائر الْمُزْن خُلَّبُ (٧)
وقورٌ ، فلا الألحانُ تأسرُ عَزْمتى ... ولا تمـكُرُ الصهباء بى حين أشْرَبُ
ولا أعرفُ الفحْشاءَ إلا بوصْفها ... ولا أنطق العَوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

---

(١) القلى : البغض والـكراهة والهجر . أى لولا أنى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب

(٢) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى أنى أنال بالحلم ما لا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .

(٣) المذرب : المحدد الماضى .

(٤) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .

(٥) الجاهلون هنا : الحمقى الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة ، أى أن أولئك الجاهلين الحمقى يعتدون على ولـكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه معجم غير بين ولـكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعلى الصالح .

(٦) لواعج : جمع لاعج ، وهو المحرق . أى أن تركى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم

(٧) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب الذاهب . والخلب : الخادع وهو صفة للوميض .

تَحَلَّمُ عن كرِّ القوارِص شيمَتى كأنّ مُعيد الذَّمِّ بالمدْح مُطنِبُ(١)
لسانِى حَصاةٌ يقرعُ الجهلَ بالحجا إذا نال منِّى العاضِـهُ المُتَوثِّبُ(٢)
ولسْتُ براضٍ أن تمسَّ عزائمى فُضالاتُ ما يُعطى الزمانُ ويسلُبُ(٣)
غرائبُ آدابٍ حبانِى بحفظها زمَانٌ وصرْفُ الدهر نِعْم المؤدِّب(٤)

وقال فى صغره :

ستعلَمون ما يكونُ منِّى إن مدَّ من ضَبْعَىَّ طولُ سنِّى(٥)
أأدَعُ الدنيـا ، ولم تَدَعْنى يلعَبُ بى عناؤُها المُعَنِّى(٦)
وَسِعتُ أيّامى ولم تسـعْنى أفضُلُ عنها ، وتَضيقُ عنِّى(٧)

---

(١) تحلم ، أصلها تتحلم ، حذفت إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة . والشيمة : السجية والخصلة ، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم ، حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل والجهل : الحمق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه . أى أننى إذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب فى وجهى ، لم أقابله بالمثل ، ولم أبسط فيه لسانى ، بل أحلم عليه ، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم

(٣) الفضلات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثنينى عن معالى الأمور ، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ ، ولا يسرنى ما أنال منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى ، واشتد عضدى .

(٦) المعنى : المرهق الشاق أى أأترك الدنيا يلعب بى عناؤها وهى لم تتركنى .

(٧) وسعت أيامى : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل . أزيد أى أن همتى تتسع لأيام حياتى ، حتى تستنفدها ، ثم تزيد عليها ، فالأيام تضيق عن كل ما أريد ، إذ أن همتى أبعد مدى منها .

لم أنا مثلُ العاطِنِ المُبنِّ   أسحبُ بُردَىْ ضرعٍ وأفنِ (١)
ولي مضاءٌ قطُّ لم يخُنِّي :   ضميرُ قلبي ، وضميرُ جفني (٢)
راضٍ بما يُضوى الفتى ويُضنِي   أسَّس آبائي وسوف أبني (٣)
قد عزَّ أصلي ويعزُّ غُصني   غنيتُ بالمجد ولم أستغنِ

٢ — مِهْيَار الدَّيْلَمِي (٤)

قال في الفخر بقومه فارس و بالإسلام :

أعجبتْ بي بَيْن نادي قومِها   أمُّ سعْدٍ ، فمضتْ تسألُ بي
سَرَّها ما علمتْ من خلُقي   فأرادتْ علمَها ما حسَبي ؟
لا تخالي نَسَباً يخفضُني ،   أنا من يُرْضيك عند النَّسب
قَومي استولَوا على الدهر فتًى ،   ومشَوا فوق رءوسِ الحِقب
عمَّمُوا بالشمسِ هاماتِهمُ ،   وبنوا أبياتَهم بالشهُب
وأبي كسرى علَا إيوانُهُ   أينَ في الناس أبٌ مثلُ أبي ؟

---

(١) العاطن : الجمل البارك بجانب الماء . والمبن : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع الذل والضعف . والأفن : سوء الرأي ، أي لم أقيم في داري مثل الجمل المقيم في المبارك الكريهة الرائحة ؟ أما آن لي أن أنشط في طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب رأي غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ؛ أي أن قلبي ونظري ثاقبان في معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفاً هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي ، كان مجوسياً يتكسب بالكتابة في الدواوين ، تخرج على الشريف الرضي في الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده وتشيع بمذهبه وغلا في التشيع .

قد قَبستُ المجد من خير أبٍ ، وقبستُ الدِّين من خـيرِ نَبِي
وضَممْتُ الفخر من أطرافه : سُؤْدد الفُرْس ، ودين العرب

وقال من قصيدة فى التشوق :

يا نَسِـيمَ الصُّبح منْ كاظمَةٍ شَدَّ ما هِجْت الْجوىٰ والبُرَحا[١]
الصبا — إن كان لابد — الصَّبا إنَّهـا كانت لقلْبى أرْوحا[٢]
يا نَداماى بسلْعٍ ! هل أرى ذَلك المَغْبق والمُصْطَبحا ؟[٣]
فاذكرونا مثْل ذكرانا لـكُمْ ؛ رُبَّ ذكرى قرّبتْ مَن نزحا[٤]
واذكروا صبًّا إذا غنَّى بكُم شَرِب الدَّمع وعاف القدحا

وقال من قصيدة فى الحـكمة والشـكوى :

خليلُك من صما لَك فى البِعاد وجارُك من أذَمَّ على الوِداد[٥]
وحظُّك من صديقك أن تَراهُ عدُوًّا فى هواك لمن تعـادى
ورُبّ أخٍ قصىٍّ العرْق ، فيه سُـلُوٌّ عن أخيك من الولاد[٦]
فلا تغرُرْك ألْسـنةٌ رطابٌ بطائنهُنَّ أكبادٌ صوادى[٧]

---

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرجاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبح : مكان الاصطباح أى الشرب صباحا .

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهداً وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطبة تنطق بالـكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

وعشْ إما قرينَ أخٍ وفيٍّ أمينِ الغَيْب ، أو عيشَ الوِحادِ[١]
فإنى بَعـــدَ تجريبِى لأمرٍ أَنِستُ — ولا أغُشُّك — بانفرادِى
تُريدُ خلائقُ الأيَّامِ مَكْراً لِتغْصِبَنِى على خُلُقِى وعادى[٢]
وتَغْمِزُنى الخطوبُ تظنُّ أنِّى أَلِينُ على عَرائكها الشِّدادِ[٣]
وما ثَهلانُ تُشْرِق قُنّتاهُ بأحمـلَ للنَّوائب من فؤادى[٤]
تُغَرِّبُ فى تقلُّبِها الليالى علَىَّ بكلِّ طارقةٍ نآدِ[٥]
إذا قُلْتُ : اكتفتْ منِّى ، وكفّتْ نَزَتْ بالدَّاء ثائرةَ العِدادِ[٦]
رَعَى سِمَنُ الحوادث فى هُزالِى كأنَّ صلاحَهنَّ على فسادِى
فيَوْماً فى الذَّخيرة من صَديقى ويوماً فى الذَّخيرة من تِلادِى[٧]
يذُمُّ النَّومَ دونَ الحِرْص قومٌ وقلتُ لِرَقْدَتِى عنه : حَمادِ[٨]
وما كان الغنَى إلا يسيراً لَوَ انَّ الرزقَ يبلغُهُ اجتهادى

وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه فى حاجة :

إلى وَزَرٍ أَحُطُّ به ثِقالاً من الآمال وهْوَ لها مآلُ[٩]
رضِينا — والعُداة لها غِضابٌ — سجايا[١٠] فيك أعطاك الكمالُ[١١]

---

(١) أمين الغيب : أى لا يقول فيك شراً حين يغيب عنك . والوحاد : أى التوحد والانفراد.
(٢) أى تريد خلائق الأيام أن تغلبنى على أخلاقى وعاداتى وتسلبنى إياها ، وتقهرنى على تغييرها .
(٣) العرائك : جمع عريكة ، وهى الطبيعة .
(٤) ثهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ؛ أى أن جبل ثهلان لا يتحمل ما يتحمله قلبه من النوائب . (٥) أى تأتى بالغرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .
(٦) نزت : وثبت . وثائرة العداد ، مهتاجة فى عودتها ورجوعها .
(٧) أى فيوما تفقدنى صديقاً ؛ ويوما تفقدنى مالا .
(٨) حماد : كلمة مبنية على الكسر ، أى حمداً وشكراً ، أى أنه يحمد بعده عن الحرص وزهده فى الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم . (٩) ملجأ ومعتصم .
(١٠) سجايا : أخلاق ، جمع سجية . (١١) أى أعطاك الكمال إياها .

إذا اختلف الجدود فظلْتَ يوماً تعُــدُّهُمُ ، استوى عمٌّ وخالُ
من النجباءِ يرضى السِّــلْمُ منهم نفوساً ليس يأباها القتالُ
نموْكَ[1] فأشبه الضِّرغام[2] شبْلٌ[3] وقايَسَتْ[4] اليدَ اليمنى الشمالُ
وكنتَ ابناً لوالدِه مُعيناً وبعضُهُمُ لوالدِه عيــالُ[5]
ولمّا لم تَخِبْ فيك الأماني رمى بِك حيث لم تنْبُ[6] النصّالُ[7]
وآنَس[8] منك يومَ بَرقْتَ[9] غيثاً دموعُ سَحابِه أبداً سِجَالُ[10]
شمائِلُ[11] طاب مَغْرِسُها فطَابت كما هبّتْ عَلَى الرّوضِ الشّمالُ[12]

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمهرجان :

هل عند هــذا الطّلَلِ الماحل من جَلَدٍ يُجْدى على سائِلِ[13]
أصمُّ ! بل يســمَعُ ! لكنّه من البِــلَى فى شُغل شاغِلِ[14]
وقفتُ فيــه شَبَحًا مَاثِلاً مُرْتَفِدًا من شَبَحٍ ماثل :[15]
ولا تَرى أعجبَ من ناحلٍ يشــكو ضَنَا الجسم إلى ناحِلِ[16]

---

(١) رفعوا نسبك إليهم
(٢) الأسد
(٣) ابن الأسد :
(٤) ساوتها .
(٥) ثقل .
(٦) تتباعد وتتجافى .
(٧) السيوف ، جمع نصل .
(٨) أبصر .
(٩) لمعت ، يريد : ظهرت صغيراً :
(١٠) فائضة .
(١١) أخلاق .
(١٢) الريح التى تهب من ناحية القطب .
(١٣) الماحل : الجدب المقفر .
(١٤) البلى : القدم والرثاثة .
(١٥) مرتفداً : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .
(١٦) الناحل : السقيم الهزيل .

لَهفَك يا دارُ ! وَلَهفِي عَلَى قطينـك المحتمـل الزائل ![1]
قلبي للأحزان بَعْدَ النَّوى ، وأنتِ للسـافي وللنّـاخل[2]
مثلك في السُـقْم ، ولي فَضـلةٌ بالعقْل ، والبَـلْوَى على العاقل
يا أهلَ نَعْمَانَ اسمعُوا دَعوةً إنْ أَسمَعَتْـكمْ من لِوَى عاقل[3]
هل زَوْرَةٌ تُمْتِعُنا منْـكُمُ وَهْناً بميعـاد الـكَرى الباطِل ؟[4]
أم هل لجسمٍ قاطِنٍ أن يَرَى عـودة قلب معـكم راحِـلِ

٣ — أبو سعد الـكاتب[5]

قال في الشوق إلى بغداد :

فدَى لكِ يا بغدادُ كلُّ مَدينةٍ مِنَ الأَرض حتَّى خِطّتى ودياريا
فقد سرتُ في شَرْقِ البلاد وغَرْبِها وطوَّفْتُ خَيْـلِي بَيْنَها وركابيا
فلم أر فيها مثلَ بَغدادَ منزلاً ولم أر فيها مثلَ دجـلةَ واديا
ولا مثل أهليها أَرَقَّ شمائلا وأعذبَ ألفاظاً وأحـلَى معانيـا
وكم قائل لو كان وِدُّك صادقا لبغداد لم ترحل . فـكان جوابيا :
(يُقيمُ الرجالُ الموسرون بأرضهمْ وترمى النَّوى بالمقترينَ المَراميا)[6]

---

(١) القطين : أى من كان مقيما . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .
(٢) يريد بالسافى والناخل : الريح .
(٣) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .
(٤) الوهن : نحو نصف الليل .
(٥) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .
(٦) المقتر : المحتاج . والمرامى المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم .

٤ — ابن لنكك [1]

قال فى الهجاء :

وعُصْبَةٍ لَمَّا تَوَسَّطْتُهم صارَتْ عَلَيَّ الأرضُ كالخاتَمِ
كأنَّهُمْ من سُوءِ أفهامِهم لَمْ يخرجوا بَعْدُ إلى العالَمِ
يَضْحَكُ إبليسُ إذا رآهُمْ لأنَّهُمْ عارٌ على آدَمِ [2]

٥ — التنوخى [3]

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قطعتُهُ كصدودٍ وفِراقٍ ما كان فيه وَداعُ
مُوحشٍ كالثَّقيلِ تَقْذَى به العَيْنُ ، وَتأْبَى حديثَه الأسماعُ
وكأنَّ النجومَ بين دُجَاهُ سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُن ابتِداع
وكأنَّ السماءَ خَيمةُ وَشْى وكأنَّ الجوْزاءَ فيها شراع
كانَ لَيْلاً فَصَيَّرْته نَهاراً كُتُبُ تَكتِبُ العدَا ورقَاع

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

وليلة مُشتاقٍ كأَنَّ نجومَها قد اغتصبتْ عَيْنَ الكَرى، وهى نُوَّم
كأنَّ عُيونَ السَّاهِرينَ لِطُولها إذا شَخَصتْ الأنجم الزُّهْرِ أنْجُمُ
كأنَّ سَوَادَ الليل — والفَجْرُ ضاحكٌ يلوح ويخْفَى — أسودٌ يتَبسَّمُ

---

(١) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهجى أهل زمانه بالمقطعات
(٢) راءهم : رآهم .
(٣) هو القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد أحد قضاة بنى بويه ونديم الوزير المهلبى

وقال فى وصف رسالة :

وافَى كتابُك مثلما وافَى بمفقودٍ بَشير
وكأنه الإقبال جا ءَ أو الشفاء أو النشُور
وكأنه شَرْخ (١) الشبا ب وعيشُه الغَضُّ النضير
وافى وعيرُ (٢) الَّليل وا قفةَ الركائب لا تسير
فأضاء لى من كُل فـ جٍّ (٣) منه فجرٌ مستنير
وارتدَّ طَرفُ الدَّهر عَنْـ ـنِى وهو مطروفٌ (٤) حسير (٥)
ورأيت أفلاكَ السرو ر بكل ما أهوى تدُور
وَفَضَضْتُهُ فكأنه أثواب وَشْيٍ (٦) أو حَبِير (٧)
وكأنَّهُ ليْـلٌ يَلُو حُ خَلاَله صُبحٌ مُنير

٦ — الدينورى (٨)

قال يشكو ولده :

رَبَّيتُهُ وهْوَ فَرْخٌ لا نهوضَ لَهُ ولا شَكيرٌ ولا ريشٌ يُواريهِ (٩)
حتى إذَا ارتاش، واشتدَّتْ قوادمُه وقد رأَى أَنَّه آتت خوافيه (١٠)
مدَّ الجناحَيْن مَدًّا ، ثم هزَّهُما وطار عَنِّى ، فَقَلْبى فيه ما فيه

---

(١) أول . (٢) قافلة .
(٣) طريق . (٤) طرفت العين : أصيبت بشىء ، فهى تدمع .
(٥) كليل . (٦) نوع من الثياب منقوش .
(٧) ثياب يمنية .
(٨) هو أبو القاسم الدينورى عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتاب بخراسان . (٩) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .
(١٠) ارتاش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش فى مقدم الجناح . والخوافى : صغار الريش ، وهى التى تختفى تحت القوادم .

وقال أيضاً فى شكْوَى الـكِبَرَ :

عشتُ من الدهر مَا كفَانِى ومرَّ ما مرَّ من زمانى
وقد حَنَتْنِى وقوَّسَتْنِى تسعٌ وتسعون وأثنتان
وقد سئمت الحياةَ ممَّا أَلْقَى من الذُّل والهوان
ومِن أَخٍ كُنتُ أرتَجِيه لحادث الدَّهر قَدْ قلانى(١)
ومِن غُلام إذا يُنـادَى تَصامَ النَّذْلُ وهو دانى(٢)
مُدمْدِمٌ لا أراهُ إلَّا مُقطَّبَ الوجه مَا رآنى(٣)

٧ — ابن المنجم(٤)

قال فى الشكوى والتوجع :

هو الدهْرُ لم تُبدِعْ علىَّ صُروفُه ولم يأت شيئاً لم أكُنْ أتخيَّله(٥)
وما رَاعَنِى المكروهُ إذ هو عادتى لَدَيْه ، ولـكنْ راعَ قلبى تَعَجُّلُه
تعجَّلَ حتى كادَ آخرُ فعله يجىء ، ولمَّا ينقطعْ بعدُ أوَّلُه

٨ — الضَّبى(٦)

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ ليـلٍ سهرتُهُ مُفَـكراً فى امتداده

---

(١) قلانى : أبغضنى وكرهنى .
(٢) تصام : تصنع الصمم ، أى أغلق أذنه عن ندائى .
(٣) الدمدمة : التكلم فى غضب ، وما رآنى : كلما رآنى .
(٤) هو أبو الحسن بن المنجم من الأدباء فى الدولة البويهية .
(٥) أبدع : أنشأ وخلق ، أى لم يأت بشىء كان مجهولا . وصروفه : حوادثه .
(٦) هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي أحد وزراء بنى بويه .

كلّما زدتُ رعْيــهُ زادنى مِنْ سوادِهِ
فتبيَّنْتُ أنَّــه تائــهٌ فى رقاده
أو تفــانَتْ نُجُومه فَبــدا فى حِداده

٩ — أبو الفضل الميكالى (١)

قال فى التوجع وفى شكوى الدهر :

يا دهْرُ ما أقساك يا دهْرُ لم يَحْظَ فيكَ بِطائلٍ حُرُّ
أمّا اللئام فأنت صاحبُهمْ ولَهُمْ عليكَ العَطفُ والنّصْرُ
يَبْقَى اللئيمُ مَدَى الحياة فلا يرتاعُ منه لحِادث صَدْرُ
تصفو له الدنيا بِلا كَدرٍ ويُطيعُه فى عيْشِه اليُسرُ
فرامُهُ سهلٌ ، وكوكبهُ سعْدٌ ، وغُصْنُ سُروره نَضْر
وعَلَى الــكريم يدٌ يُسَلِّطُها منكَ الجفاء المُرُّ والقَسْر
إنْ نابَ خطْبٌ فهو عُرضَتُه يَفْري بهِ منه النَّابُ والظفرْ (٢)
أو يبغِ معْروفاً لديك غَدا يُنْحى عليه حادثٌ نُــكْر (٣)
مرْعَاهُ جدْبٌ ، والحظوظُ له حرْبٌ ، وجانِبُ عيْشِه وَعْر

---

(١) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالى بقية آل الميكال أمراء فارس .
(٢) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .
(٣) الحادث النكر : الشديد الذى ينكر لفظاعته .

وجناهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَهُ وَشَلٌ ، وَحَشْوُ فُؤاده جَمْرُ(١)
يا دَهْرُ دَعْ ظُلْمَ الكرامِ فَهُمْ عقدٌ لنَحْرِك لَوْ دَرَى النَّحْرُ(٢)
سالمْهُمُ واستَبْقِ وُدَّهُمُ فهم نجومُ ظلامِك الزُّهْرُ

وقال فى وصف النرجس :

أهلًا بِنرجِسِ رَوْضٍ يَزْهى بحُسنٍ وطِيبِ
يرنُو بعَينِ غَزالٍ على قَضِيبٍ رطيب
وفيه مَعْنًى خَفِيٌّ يَزِينُه فى القلوبِ
تصحيفه إن نسقتَ الْ حُروفَ بِرٌّ حبيب(٣)

١٠ — الأبيوردى(٤)

قال فى الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ قُلتُ : ضَرورةً بابُ البواعث والدواعى مُغْلَقُ
خَلَت البلادُ ، فلا كريمٌ يُرْتَجى منه النوالُ ، ولا مَليحٌ يُعشَق
ومن العجائب أنه لا يُشْتَرى ومع الكساد يُخانُ فيه ويُسرق

(١) الوشل : الماء القليل .
(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر .
(٣) التصحيف : التحريف والغلط فى قراءة الحروف ، أى أن لفظ « نرجس » لو قرىء مصحفاً ولم يكن منقوطاً لكان : بر حبيب : أى عودته وعطفه .
(٤) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضاً يستحث على اقتفاء الآباء الكرام :

بِأَبِى — وإن عظم الفداء — فتًى ‏ ‏ لِلْهَمِّ فى جَنْبَيْه مُعْتَرَكُ
نَبَّهْتُه والليلُ مُعتكِرٌ ‏ ‏ ونجومُه فى الأفق تَشْتَبِكُ[(١)]
ومَشَى على كَسَلٍ ، فقُلْتُ له ‏ ‏ عَثَرَتْ بك الوَخَّادَةُ الرُّمُكُ[(٢)]
أَرَضيت أمراً لا يزالُ به ‏ ‏ فى الذلِّ عِرْضُ أخيك يُنْتَهَكُ ؟
والدهرُ يَرْمى بالخطوب ، وفى ‏ ‏ غُلَوائِها الأيَّامُ تنهمك[(٣)]
ما نحنُ من سُوَقٍ فنشبِهَهُمْ ‏ ‏ لم يُنْمِنا إلا أبٌ مَلِكُ
فانظر إلى الأجداد كيف سعوا ‏ ‏ للمَكْرُمات وأيَّةً سلكوا[(٤)]
هلاّ أخذت بهديهمْ ! فهمُ ‏ ‏ تركوا العُلا لك فارغَ ما تَرَكوا
واطلب مداهمْ ، إنهم نَفَرٌ ‏ ‏ عاشوا بذكرهمُ ، وقد هلكوا
وإذا عجزت ولم تلم به ‏ ‏ فالعجزُ بعد طِلابه دَرَكُ[(٥)]

١١ — الطُّغْرائى[(٦)]

وقال مؤيد الدين الطغرائى يصف الغدير :

عُجْنا إلى الجِزْع الذى مدَّ فى ‏ ‏ أرجائه الغَيْمُ بِساطَ الزَّهَرْ[(٧)]
حَوْلَ غَديرٍ ماؤُه المنتمِى ‏ ‏ إلى بَنات المُزْن يشكو الخَصَرْ[(٨)]

---

(١) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .
(٢) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهى الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .
(٣) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .
(٤) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .
(٥) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعيا إلى شىء فلم تصبه ، فكأنك أصبته لأن على المرء أن يسعى .
(٦) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب آخر فحول المشرق فى الشعر . ومن شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .
(٧) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .
(٨) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة فى الماء .

لو لاذت الريحُ سَموما به لانقلبتْ وهْى نَسِيمُ السَّحر(١)
حَصباؤه دُرٌّ ورَضْراضُهُ سُحَالَةُ العسْجد حوْل الدُّرَرْ(٢)
وقد كستْه الريحُ من نَسجِها درْعًا بها يَلْقَى نِبالَ المطَرَ(٣)
وألبستْه الشمسُ من صبْغها نُوراً به يخطفُ نورَ البَصَر
كأنَّهُ المرآة مَجْلُوَّةً على بساطٍ أخْضَرٍ قد نُشِرْ

وله فى الأعداء والحساد :

جاملْ عَدُوّك ما استطعت فإنه بالرِّفْق يُطْمعُ فى صلاح الفاسدِ
واحذرْ حَسودكَ ما استطعتَ ، فإنَّه إن نمْت عنه فليس عنكَ براقد
إن الحسودَ وإن أراك تَوَدُّداً منْهُ أضرُّ مَنَ العَدُوِّ الحاقد
ولرُبَّما رضِى العدُوُّ إذا رأى منكَ الجميلَ فَصارَ غَيْرَ مُعاند
ورضا الحَسُود زوالُ نِعمتك التى أُوتيتَها من طارفٍ أو تالد(٤)
فاصْبرْ على غيْظ الحسود فنارُهُ تَرْمى حشاهُ بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكُلُ نَفْسَها حتى تَعُودَ إلى الرَّماد الهامدِ
تضْغُو على المحسود نعمةُ ربِّه ويذُوبُ من كمدٍ فُؤَادُ الحاسد

---

(١) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداه وطيب جوه لو جاءنه ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٢) الحصباء : الحصى والرضراض : صغار الحصى . والعسجد : الذهب وسحاله : برادته .

(٣) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل : وهو السهم .

(٤) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالد : القديم المأثور ..

ومن لاميته المشهورة فى الحكم :

حُبُّ السلامة يثنى هَمَّ(١) صاحبه عن المعالى ويغرى(٢) المرء بالكسل
فإن جَنحت إليه فاتخِذ نَفَقاً فى الأرض أو سُلماً فى الجو فاعتزل
ودع غِمار(٣) العلا المقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبَلَل
رِضا الذليلِ بِخفض العيش مسكنة والعز عند رسيم(٤) الأينق الذللِ
إن العلا حدثتنى — وهى صادقة فيما تحدث — أن العزَّ فى النُقَلِ(٥)
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منًى لم تبرح الشمسُ يوماً دارة الحَمَل(٦)

وقال يرثى مؤيّد الملك وقد مات مقتولا و بقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بَعْدَ يومك للحزين الموجعِ غيرُ العويلِ(٧) وَأَنّة(٨) المتفجعِ(٩)
يوم أُصيب الدين فيه وعطلت أحكامه ، فكأنها لم تشرعِ
ومضى الذى كنا نروع(١٠) بِذكره نُوَب(١١) الزمان ، فماله من مَرْجِعِ
من ذا رأى الأسد المدلَّ(١٢) ببأسه شلوًا(١٣) طريحا بالعراء(١٤) البلقعِ(١٥)
أَعزِزْ(١٦) عَلَىَّ بأن أسرح ناظِرى فى مجمعٍ وسواك صدرُ المجْمعِ
لهفى(١٧) عليك لمستجيرٍ يبتغى وَزراً(١٨) لديك وماله من مفزعِ

---

(١) عزم . (٢) يولع . (٣) جمع غمرة وهو الماء الكثير .
(٤) سير . (٥) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٦) أحد بروج الشمس .
(٧) رفع الصوت بالبكاء . (٨) التأوه من الوجع . (٩) المتوجع للمصيبة .
(١٠) نخيف . (١١) مصائب . (١٢) المتكبر .
(١٣) الشلو هنا : بقية البدن . (١٤) الفضاء . (١٥) الأرض القفر .
(١٦) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، أى ما أعزه !
(١٧) حسرتى . (١٨) ملجأ .

جَمَحَتْ(١) بك الهمم التي لا تنثنى — عما تروم من المرام الأمنع(٢)
ووقفتَ حيثُ السيفُ يرعدُ متنهُ — لم ترتعد فَرَقاً(٣) ولم تتخشع
فى موقفٍ بين الصوارم والقنا — ضَنْكٍ(٤) ويومٍ للكريهة أشنع
ضاقت بك الدنيا فعفت جوارَها — ونزعت نحو الخلد أكرم مَنزع
كل إلى أمدٍ يصيرُ ، فمُقْعَص(٥) — بالسيف أروَح من مريضٍ مُوجَع

وقال يرثى زوجته :

ولم أنسها ، والموتُ يقبض كفَّها — ويَبْسُطُها ، والعينُ تَرْنُو وتُطْرِق
وقد دَمَعَتْ أجفانُها فوقَ خدها — جنى نَرْجِسٍ فيه النَّدى يَتَرَقْرَقُ
وحلّ من المقْدور ما كنت أتقى — وحُمَّ من المحذور ما كنتُ أفْرَق(٦)
وقيلَ : فراقٌ لا تلاقى بعده ! — ولا زاد إلا حسرةٌ وتحرُّقُ
فلو أنّ نفساً قبل مَحْتُومِ يومها — قضتْ حَسَراتٍ كانت الروح تَزْهَق(٧)
هلالٌ ثوَى منْ قبل أن تمَّ نُورُهُ — وغُصْنٌ ذوى فَيْنانُهُ وهوَ مُورق(٨)
فوَاعَجبَا أنّى أُحِمَّ اجتماعُنا ؟ — ويا حسرتى من أين حلّ التفرُّقُ ؟(٩)

وله فى أعدائه :

نَكَرُوا عَلَيّ معايِبى لحذرتُهَا — ونَفَيْتُ عن أخْلاقىَ الأقذاءَ(١٠)
ولربما انتفَع الفتى بعدُوّه — والسمُّ أحياناً يكونُ شِفاءَ

---

(١) أشرعت . (٢) الصعب على مريده وطالبه . (٣) خوفا . (٤) ضيق .
(٥) المقعص : الميت من ضربة أو رمية . (٦) حم الأمر : قضى ووقع وأفرق : أخشى
(٧) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء أجله زهقت روحه من طول ما يتحسر ويحزن لمصابه . (٨) الفينان هنا : الكثير الأهداب والورق . (٩) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، ويتحسر لهذه الفرقة التى ليس بعدها لقاء . (١٠) الأقذاء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها ، يريد ما يشوب الأخلاق من الصغائر ومايذم .

١٢ — السَّهْرَوَرْدِىّ (١)

قال فى الفلسفة والتصوف :

قُلْ لأصحابٍ رأَوْنِى ميِّتًا ... فبكَوْنِى إذْ رأَوْنِى : حَزَنا
لا تظنُّـــونى بأنّى ميِّتٌ ... ليس ذاكَ الميتُ واللهِ أنا
أنا عُصفورٌ ، وهــذا قفصى ... طِرْتُ عنــهُ ، فتخلَّى رَهَنَا (٢)
فَاخْلَعُوا الأنْفُسَ عن أجسادها ... فَتَرَوْن الحقَّ حقًّا بيِّنـا
لا تَرُعْكُمْ سكْرةُ الموْت فما ... هى إلا بانتقال من هُنا

١٣ — الرفاعى (٣)

من قوله فى العشق الصوفى :

إذا جنّ ليلى هام قلبى بذكركم ... أنوحُ كما ناح الحمامُ المطوَّقُ
وفَوْقى سحابٌ يمطرُ الهمَّ والأسَى ... وتحتِى بحارٌ بالأسَى تتدفَّق
سَلُوا أمَّ عَمْرٍو كيفَ باتَ أسيرُها ... تُفَكُّ الاسَارَى دونَه وهْو مُوثَق ؟
فلا هو مقتولٌ ، ففى القتل راحةٌ ... ولا هُو ممنونٌ عليه فَيُطْلَقُ

---

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردى ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٢) الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أى : خليت القفص نائبا منابى .

(٣) هو أبو العباس أحمد الرفاعى صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطاح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ — السرىّ الرّفّاء[١]

قال يصف مجلساً اتخذه الحسن بن محمد المهلّبي وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكزت حولها رماح علّق عليها شمع فكوّن ذلك منظراً حسناً :

فضلت ليالى القَصف[٢] ليلتُك التى ... هى فى المحاسن غادةٌ حسْناء
رقت غياهبها[٣] فهن غلائِل[٤] ... وسجت[٥] جنائبها[٦] فهن رخاء
بِركٌ تحلَّت بالكواكب أرضُها ... فارتدَّ وجهُ الأرض وهْو سَماء
رُفِعت إلى الجوْزاء[٧] فوّاراتهـا ... عُمُدا تصاب بصوبها[٨] الجوزاء
مِثلَ القَنا[٩] الخطّىِّ[١٠] قُوِّم مَيْلُه ... وَجَرَتْ عليه الفضَّةُ البيضاء
حتى إذا انتشرت جلابيب الدُّجَى ... وتكلفت من دونها الظَّلْماء
فَرّجْنَها بصحائحٍ إن تَعْتَللْ ... فلهنَّ من ضَرْب الرِّقاب شِفاء
شَمعًا حَمَلتَ على الرِّماح رماحَه ... فقُدودُهن[١١] وما حَمَلْنَ سَواء

---

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مدّاح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هجرية .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو .

(٣) جمع غيهب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب .

(٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريح حارة .

(٧) نجم .

(٨) الصوب : المطر . يريد مايتصعد من ماء الفوارات .

(٩) الرماح .

(١٠) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروض والجوّ فى يوم ظهر فيه قوس قَزَح :

وصاحب يقدح لى ... نار السرور بالقدح[1]

فى روضة قد لبست ... من لؤلؤ الطَّلِّ سُبَح[2]

يالغنا[3] حَمَامها ... مُغتبَقاً[4] ومصطَبح[5]

أوقظه بالعزف[6] أو ... يوقظُنى إذا صدح[7]

والجو فى مُمَسَّك[8] ... طرازه[9] «قوس قزح»[10]

يبكى بلا حُزْن كما ... يضحك من غير فرح

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً :

رأيتك تبدى للصديق نوافذاً ... عدوُّك منْ أمثالِها الدهرَ آمن

وتكشف أسرَار الأخلاء مازحاً ... ويارُبَّ مزْحٍ راح وهو ضَغَائن

سأحفظ ما بينى و بينك صائناً ... عهودك إن الحُرَّ للعهد صائنُ

وألقاك بالبِشر الجميل مداهناً[11] ... فلى منك خلٌّ ــ ماعرفتُ ــ مُداهنُ

أنمّ[12] بما استُودعتَه من زُجاجة ... ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطن

---

(١) إناء يشرب فيه الخمر .

(٢) جمع سبحة وهى خرزات يسبح بها .

(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .

(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء

(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحا .

(٦) الغناء . (٧) غنى .

(٨) مطيب بالمسك . (٩) وشيه .

(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء عقب المطر بحمرة وصفرة وخضرة وغيرها من الألوان .

(١١) المداهن : الذى يظهر خلاف مايضمر .

(١٢) أنم : أفعل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

١٥ — الجرجانى [1]

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تطعَّمْتُ لذّة العيش حتَّى صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شىءٌ أعزَّ عندى من العلْم ، فما أبتغى سواه أنيسا
إنّما الذُّلُّ فى مُخالطة النا س فدعْهُمْ ، وعشْ عزيزاً رئيسا

١٦ — الصابئ [2]

قال يهجو :

يا جامعًا لخِلالٍ قبيحةٍ ليس تُحصَى
نقصْت من كلِّ فضلٍ فقد تكاملت نقْصا
لوْ أنَّ للجهل شخصًا لكُنت للجهل شخْصا

١٧ — الصاحب بن عباد [3]

قال يذم الشماتة :

وكم شامتٍ بعد موْتِىَ جاهلا يظلُّ يسُلُّ السَّيف بعْد وَفاتى
ولو علِم المسكِينُ ماذا يَنالُه منَ الظُّلْم بعدى مات قبل مَماتى

---

(١) هو القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الحرانى ، كان صابئاً على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب فى الكتابة فى دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نفائس الرسائل وله شعر جميل، ومات سنة ٣٧٤هـ .

(٣) هو الصاحب إسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفى سنة ٣٨٥هـ.

١٨ — الُخوَارَزْمى[1]

قال يوصى بتخير الأصدقاء :

لا تصحب الكسلان فى حاجاته ... كمْ صالحٍ بفساد آخر يفسُدُ
عدْوَى البليد إلى الجليد[2] سريعةٌ ... والجمْرُ يُوضعُ فى الرَّماد فيخْمُدُ

١٩ — ابن نباتة السعدى[3]

قال يصف فرساً أدهم أغرّ مُحجَّلًا حمله عليه سيفُ الدولة :

يأَيُّها الملكُ الذى أخلاقُهُ ... من خلْقه ورُوَاؤُه[4] من رائه[5]
قد جاءنا الطِّرْفُ[6] الذى أهديْتَهُ ... هاديه[7] يعقد أرضَه بسمائه
أولايَةً ولَّيْتَنَا ؟ فبعثته ... رُمْحًا سَبِيبُ[8] العُرف عقد لوائِهِ[9]
نختالُ منهُ عَلَى أغرَّ مُحجَّلٍ ... ماء الدَّياجى قطْرةٌ منْ مائه
فكأَنما لَطَمَ الصَّباحُ جبينَه ... فاقتصَّ منهُ فَخَاض فى أحْشائه
متمهِّلا ، والبرقُ من أسمائِهِ ... متبرقعاً ، والُحسْنُ من أكفائه
لا تَعْلَقُ الأَلْحاظُ فى أعطافه ... إلا إذا كَفْكَفْتَ من غُلَوائه[10]

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدى التميمى أحد فحول الشعراء . توفى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التى هى مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه . (٨) شعر العرف . (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكف : صرف ومنع ، والغلواء : يريد السرعة ، أى لا تراه الأعين إلا إذا منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

قال يعزى صمصام الدولة فى أبيه :

رأيْتُ الدَّهرَ يا صَمْصَام أدنى فضائله التَّكرُّمُ والحياء
فخذ بنصيبك الموفور منه وخلِّ الحزن يَألفهُ النِّساء
عَلَى عاداتها جرت اللّيالى فلا بُؤْس يدومُ ولا رخاء
تعزَّ فَقَبْلَ يومِ أبيك غالَتْ غوائلُها[1] الملوكَ ولا سَواء[2]
وكنت إذا السيوفُ نبَتْ وكلّت مضَيْت ، ومن سجيَّتِكَ المضاء
فإن يَكُ قد طَوَتهُ يدُ اللَّيالى فإنَّ الصُّبْح يطويه المساء

٢٠ — البُسْتى[4]

قال يغرى بالكرم :

بين من يُعطى ومن يَأْ خُذُ فى التّقْديرِ عَرْضُ[5]
فيَدُ المُعْطى سماء ويدُ الآخذ أرضُ
وعلى الآخذ أن يشْ كُرَ ، إنّ الشُّكْرَ فرْضُ

وقال أيضاً فى المداولة بين الراحة والتعب :

أفدْ طبعك المكدود بالهم راحةً يجمَّ[6] وعلِّلْهُ بشىء من المزْحِ
ولكن إذا أعطيتَهُ ذاك فليكُنْ بمقدار ما تُعطى الطعامَ من الملحِ

---

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .

(٢) السواء : المماثلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك فى الشرف والمجد والمنزلة .

(٣) لم تقطع .

(٤) هو أبو الفتح البستى على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب فى الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .

(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال فى جواب كتاب :

لما أتانى كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ   عن كل برٍّ وفضل غير محدودِ
حكتْ معانيه فى أثناء أسطره   آثارك البيض فى أحوالى السودِ

وقال أيضاً فى هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنوَّارٍ لَهُ ثمرٌ   فى الوقْت يُمتعُ سمْعَ المرْء والبصرا(١)
حتى أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ   عن كلّ لفظ ومعنًى يُشبه الدررا
وكان لفظُك من لألائه زهراً ،   وكان معناهُ فى أثنائه ثمرا
تسابَقَا ، فأصابا القصد فى طلق   لله منْ ثمرٍ قد سابق الزّهرا(٢)

٢١ — الناشىء الأصغر(٣)

قال فى معاملة الصديق :

إنى ليهْجُرنى الصّديقُ تجنّياً   فأُريه أنّ لهجْره أسْـباباً
وأخافُ إن عاتبتهُ أغْريتُهُ   فأرى لَهُ ترك العتاب عتابا
وإذا بُليتُ بجاهلٍ مُتعاقلٍ   يدعُو المُحال من الامور صوابا
أوليتُهُ منّى السكوت ، وربما   كان السكوتُ عن الجواب جوابا

---

(١) النوار : الأبيض من الزهر .
(٢) الطلق : الشوط فى الجرى ، أى فى شوط واحد .
(٣) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشىء الأصغر ، والشاعر البليغ المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

٢٢ — الأبهرى (١)

قال فى الحكم :

متى ترغب إلى الناس تكنْ للناس مملوكا
وإن أنت تخففّتَ على الناس أحبّوكا
وإن ثقّلْتَ عافوك وملّوك وسبّوكا(٢)
إذا ما شئت أن تُعْصى فمُرْ من ليس يزجوكا
وسل من ليس يخشاكَ فيَدمى عندها فُوكا

٢٣ — صردر(٤)

قال يصف كتيبة(٥) :

وفوارسٍ يصْلَون نِيران الوغَى مما تثير جيادُهم بدُخان
جنبُوا(٦) إلى الأعداء كل طِمرّةٍ(٧) بُنِيتْ مفاصلُها عَلَى شَيْطان
طلعُوا طُلوع الشّمس يغمرُ ضوؤها هام(٨) الرُّبا ومغابن(٩) الغيطان
فى كل معتركٍ تُجِيل كُماتُهم قدْحاً يفوزُ إذا التقَى الجمعان

(١) هو أبو الحسن على بن مأمون الأبهرى ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .
(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .
(٣) يدمى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لفمك كالجرح الدامى .
(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى . توفى سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .
(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للاغارة والغزو .
(٦) قادوا .
(٧) الفرس الجواد .
(٨) رءوس .
(٩) ما استتر من الأرض .

فاسألْ جبالَ الرُّوم لما طوَّقُوا أعناقهُمْ من جمعهمْ برعان[١]
تركوا المعاركَ كالمناحر[٢] من منى[٣] وجماجم[٤] الأعداء كالقُرْبان
فكأنما فرش النَّجيع[٥] تلاعها[٦] ووهادها[٧] بشقائق النُّعمان[٨]

وقال يستهدى مداداً و يصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليكَ أشكو مشيباً لاح بارقُهُ في فرع دهْماء[٩] تجرى بالأساطير
كانت مفارقُها مسْكا مضمَّخةً فما لها بُدِّلت منْهُ بكافُور[١٠]
ومُقْلَةً عُهدتْ كحلاء مرْهها[١١] طُول البُكاء عَلَى بيض الطّوامير[١٢]
يا حبذا هى والأقلامُ واردةٌ فيها وصادرةٌ سُحْمٌ[١٣] المناقير

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذى له فصول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذابح .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معاً من الأرض ، وأراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهى المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدتها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها .

(٩) الدهماء : التامة السواد شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجرى منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنما كرعت[١] فى ناظرىْ رشأٍ[٢] أو فى سوَيْداء قلب غير مسرور
تحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفاً[٣] بهـا مفاخرةُ الظَّلمـاء للنُّور
فكيف لى بخِطابٍ[٤] تسترد به من الشبيبة لوناً غَيْرَ مهْجُور
لو أنَّ صبغَتَه فاز الشبـابُ بهـا لمـا رمَى الدهرُ فَوْديه[٥] بتَغْيير

٢٤ — السلامى[٦]

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهـرٍ تمرحُ الأمواج فيـه مراحَ[٧] الخيل فى رهَج[٨] الغُبار
إذا اصفرَّت عليه الشمسُ خلْنا نَمِير[٩] المـاء يُمْزَج بالعُقار[١٠]
كأن الماء أرضٌ من لُجَيْن[١١] مُغَشَّاةٌ صَفائح[١٢] من نُضَارِ[١٣]
وأشجارٌ محمَّـلَةٌ كؤوساً تَضاحَكُ[١٤] فى احْمِرارٍ واخْضرار
إذا أبْصرْن فى نهْـرٍ سمـاءً وهبْنَ لهُ نُجوم الجُلَّنَارِ[١٥]

---

(١) شربت .
(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .
(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) ما يختضب به ، أى يصبغ به الشعر .
(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى يظفر بمثله الشاب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .
(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ . وقال الشعر فى العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد وبعضد الدولة فبلغ عندهما منزلة حسنة . وتوفى سنة ٣٩٤ هـ .
(٧) نشاط .
(٨) الرهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .
(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الخمر .
(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .
(١٤) أصله تتضاحك ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . (١٥) زهر الرمان .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — ابن العميد[1]

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُترجِّحٌ بين طمَع فيك ويأسٍ منك ، وإقبالٍ عليك ، وإعراض عنك ، فإنك تُدلُّ[2] بسابق حُرمة . وتَمُتُّ بسالف[3] خدمة . أيسرُهما يُوجب رعاية ، ويَقتضى محافظة وعناية . ثم تشفَعُهما بحادث غُلول[4] وخِيانَةٍ ، وتُتْبِعُهما بآنف[5] خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يُحبِط[6] أعمالك ، ويَسحقُ كل ما يُرعى لك ، لا جرَمَ أنى وقفتُ بين ميلٍ إليك وميل عليك ، أُقدِّمُ رجلا لِصدِّك ، وأؤخِّر أخرى عن قَصْدك ، وأَبسُطُ يداً لاصطلامك[7] واجتياحك ، وأَثنى ثانية لاستبقائك واستصـلاحك ، وأتوقّفُ عن امتثال[8] بعض المأمور فيك . ضَنًّا بالنعمة عندك ، ومنافسةً فى الصنيعة[9] لديك ، وتأميلا لفيئَتِك[10] وانصرافك ، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك ، فقد يَغرُب[11] العقل ثم يؤوب . ويَعْزُبُ اللُّبُّ

---

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الإدلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) تمت : تتوسل وتتصل .

(٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد .

(٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والإنفاذ .

(٩) الصنيعة : الإحسان والتـكرم .

(١٠) لفيئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب ويغيب . ويعزب : مثل يغرب .

ثم يثوب . ويذهَبُ الحزْم ثم يعود . ويفسُد العَزْم ثم يصْلح . ويُضاع الرأى ثم يُستَدرك ، ويسكرُ المرء ثم يصحو ، ويكدُرُ الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء . وكلُّ غمْرة[١] فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسِبْهُ أولياؤُك ، فلا بدْع أن تأتىَ من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤُك . وكما استمرَّتْ بك الغفلةُ حتى ركبْت ماركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصرُ فيها قبيح ماصنَعت ، وسوء ما آثرْت . وسأُقيم على رسمى[٢] فى الإبقاء والمماطلة ما صلُح ، وعلى الاستيفاء[٣] والمطاولة ما أمكن ، طمَعاً فى إنابتك[٤] ، وتحكيما لُحسن الظنّ بك . فلستُ أُعْدَم فيما أظاهرُه من إعذار[٥] ، وأُرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك ، واستدراجا لك ، فان يشأ اللهُ يرشدْك ، ويأخذ بك إلى حظِّك ويُسدِّدْك ، فإنه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبى عبد الله الطبرى :

كتابى وأنا بحالٍ لَوْ لَمْ يُنغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يُرنِّقْ[٦] صفوَها النزاعِ[٧] نحوك ، لَعددتُها من الأحوال الجميلة ، وأعددتُ حظِّى منها فى النِّعَم الجليلة ، فقد جمعتُ فيها بين سلامة عامّة ، ونعمةٍ تامّة ، وحظيتُ منها فى جسمى بصلاح ، وفى سعْيى بنجاح ، لكنْ ما بقى أن يصفوَ لِى عيْشٌ مع بُعدى عنك ، ويخلوَ ذرْعِى[٨] مع خُلُوِّى منك ، ويسوغ لى مطعَمٌ ومشربٌ مع انفرادى دونَك .

---

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر السابح ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب .

(٢) الرسم : أى ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته .

(٣) الاستيفاء : التمهل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفى عذرك فى المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرنق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالى الذرع : أى فارغ القلب من الهموم ، ويراد بالذرع : الطاقة وسعة النفس والخلق .

وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشمل أنسي . وقد حُرِمتُ رؤيتك ، وعدمتُ مشاهدتك . وهل تسكُنُ نفسٌ متشعِّبةٌ ذاتُ انقسام ، وينفعُ أنسُ بيت بلا نظام . وقد قرأتُ كتابك — جعلني الله تعالى فداءك فامتلأتُ سروراً بملاحظة خطِّك ، وتأمُّل تصرُّفك في لفظك ، وما أُقرِّظُهما ؛ فكل خصالك مقرَّظ عندي . وما أمدحُهما ؛ فكل أمرك ممدوحٌ في ضميري وعقدي[1] وأرجو أن تكون حقيقةُ أمرك موافقةً لتقديري فيك ، فإن كان كذلك[2] وإلَّا فقد :

غطَّى هواك وما ألقى عَلَى بصري[3] .

٢ — الصاحب بن عباد[4]

رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدّثت الرِّكابُ بسيْرِ أروَى   إلى بلد حططْتُ به خيامي[5]

فكدتُ أطيرُ من شوقي إليها   بقادمة كقادمة الحمام[6]

أفحقٌّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنٌّ كأمانيِّ الحالم ؟ لا والله ! بل هو دركُ العيان وإنه ونيل المُنى سيّان ، فرحباً أيها القاضي براحلتك ورحْلك[7] ! بل أهلا بك .

---

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) في الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد في كتابة الشعر المنثور ، توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهي كبار الريش التي في مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر : والرحل ما يستصحب في الارتحال من الأثاث .

وبكافة أهلك ، ويا سُرعةَ ما فاح نسيمُ مسْراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك . فحثَّ المطىّ تُزلْ غلّتى بسُقْياك ، وتزحْ علّتى بلقياك ، ونصَّ على يومِ الوُصول لنجعله عيداً مشرَّفاً ، ونتخذه موْسماً ومُعرَّفاً[1] ورُدَّ الغُـلام ، أسرع من رجْع الـكلام ، فقد أمرْتُه أن يطير على جناح نَسْر وأن يترُك الصَّبا فى عقالٍ وأسْر[2] :

سقى اللهُ دارات مررْت بأرضها فأدتك نحوى يا زياد بن عامر
أصائلُ قُرب أَرْتجى أَن أَنالها بلُقياك قد زحْزحْن حرَّ الهواجر[3]

* * *

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جواباً لـكتابه إليه فى وصف البحر :

وصل كتابُ الأستاذ الرئيس صـادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، وما رآهُ من طاعة آلاتها للرِّياح كيف أرادتْها ، واستجابة أدواتها لها متى نادتْها ، وركوب الناس أشباحها والخوفُ بمرْأى ومسْمَع ، والمنون بمرقَب ومطلع ، والدهرُ بَيْن أخذ وترْك ، والأرواحُ بَيْن نجاةٍ وهلْك ، إذا فـكَّروا فى المـكاسب الخطيرة هان عليهم الخطَر ، وإذا لاحت لهم غُرَرُ المطَالب الـكثيرة حُبب إليهمُ الغرَر[4] . وعرفتُ ما قاله من تمنِّيه كوْنى عند ذلك بحضرته ، وحصولى على مُساعدته ، ومن رأى بحْر الأستاذ كيف يزْخَرُ بالفضل ، وتتلاطمُ فيه أمواجُ

---

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .

(٢) أى يسبق فى سرعته ريح الصبا حتى كأنها فى جانبه مأسورة . أخـذ من قول امرىء القيس (قيد الأوابد هيكل) .

(٣) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت القيظ فى وسط النهار .

(٤) الغرر : الهلاك ، يكون من تعريض المرء نفسه له .

الأدب والعلم ، لم يعْتبْ على الدهر فيما يُفيتهُ من منظر البحر . ولا فضيلة له عندى أعظمُ من إكبار الأستاذ لأَخْواله ، واستعظامه لأَهواله ، كما لا شىْء أبلغ فى مفاخره وأنفس فى جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإنى قرأتُ منه الماء السّلْسال(١) لا الزلال ، والسِّحر الحرام(٢) لا الحلال . وقد علم أنه كتب وما أَخْطر بفكره ، سعة صدره(٣) ، فلوْ فعل ذلك لرأى البحر وشلاً(٤) لا يفضُلُ عن التّبرُّض(٥) ، وثمداً(٦) لا يكْثُرُ عن الترشف(٧) .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبحر شاهدٍ أنك البحر

٣ — الْخوارَزْمىّ(٨)

كتب إلى قاضى سجسْتان حين نـكبَهُ أميرُها :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكله أناخ بآخرينا(٩)
فقُلْ للشـامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) أى الـكلام المتسلسل لا الماء الحقيقى البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أى الحرام على غيرك ، فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله : (لا السحر الحلال) يريد به الإنشاء الذى فى إمكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأو ابن العميد .

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفـكره .

(٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرض : التبلغ بالماء القليل للضرورة .

(٦) الثمد : الماء القليل .

(٧) الترشف : الشرب قليلا قليلا والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمـد بن العباس الخوارزمى الـكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٩) الـكلاكل . جمع كلـكل . وهو الصدر ، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ وبرك أيضاً بعد زمن بآخرين .

أما بعد — أيّد اللهُ تعالى القاضى — فإنه لم يُحسنْ إلى غيره من أساء إلى نفسه ، ولم ينْصُرْ أصدقاءه ، من خَذَل حَوْباءه[١] ؛ وإنما يُحب المرء أخاه بما فَضَلَ عن محبتِه لرُوحه التى له خيرُها ، وعليه ضَيْرُها . وكانت محْنَةُ القاضى محْنَةً شمِلتْ الأنام[٢] : وخصّت الكرام ؛ ووجب على كلّ مَن اشتمّ روائحَ العقل ؛ وميّز بين النقصان والفضل ، أن ينفطر لها ألماً ؛ وأن يبكى عندها دماً . وخلص إلىّ من ذلك ما أضحك منى الأعداء ، وأبكى لى الأصدقاء ، حتى رحمنى من كان يحسُدنى ، وحتى عجِبَ من جزعى من كان يُصَبِّرُنى ، وحتى غضضت طَرْفاً طالما رفعتهُ ، وقبضت بناناً طالما بسطتهُ ، وحتى عُزِّيتُ كما يُعزَّى الثكلان[٣] وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللهفان .

وأنا بعد ذلك أستصغر فعل نفسى وهى جَزِعةٌ هَلِعة[٤] ، وأستقلُّ سعْى عينى وهى سخينة دَمِعة[٥] . وكان يجبُ على مُقتَضى هذه الجملة ، وأساس هذه البنية ، أن أحضُر مجلس القاضى فأُصابره نهاراً ، وأساهره ليلا ؛ وتكون المحنةُ بينى وبينه أحملها عنه ، ويحملها عنى ؛ ولكنى علمت أن والينا هذا رجل ينظرُ إلى الذنب الخفىِّ ، ويتغابَى عن العُذر الجلىّ . وله أُذنان : واحدة يسمعُ بها البلاغات وهى كاذبة ، وأخرى يَصمُّ بها عن المعاذير وهى صادقة ؛ وليس بينه وبين العفو نسب ، ولا له إلى التثبت طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لسخطه ؛ بعد ما عرفته من شططه[٦] ؛ لتحملتُ دونه الوزر

---

(١) الحوباء : النفس .
(٢) المحنة : الشدة والمصيبة .
(٣) الثكلان : الفاقد ولده .
(٤) جزعة هلعة : شديدة الحزن .
(٥) سخينة دمعة : ساخنة من الوجع ، سريعة الدمع .
(٦) شططه : جوره وتعدّيه الحدود .

فى ظُلمى ، ولـكنتُ مُقدِّمته إلى ذمِّى . ومن قعد تحت الرِّيبة ركبته ، ومن تعرّض للظِّنَّة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمُّوه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعثُ من حُضورى أن يثب هذا الجبّارُ وثبةً يصون القاضى عنها ، ويبتذلنى بها ، فأكونَ قد ضررتُ نفسى ، ولم أنفع غيرى ؛ فإذا بالمحنة قد تضاعفتْ على القاضى ضعفين ، وتكرّرت عليه كرّتين ؛ يرى بولىٍّ من أوليائه داء لا يقدرُ على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصلُ إلى إطفائه ؛ ويتبين فى حالةٍ[1] متصلة بحاله ثُلْمةً[2] لا يُمكنُ سدُّها ؛ ومحنةً لا يستوى له ردُّها . فلما ميَّلْتُ[3] بين تخافى آمناً ، وحضورى خائفاً ؛ عدلْتُ بين طرفى الرّزية ، ووزنتُ بين مقدارَى المحنة ، فرأيت أن أميل مع السـلامة وأقنَع من العمل بالنِّيَّة ؛ وأغتفر عُهدة التفصيل لصحة الجملة ، فغبت وكلى غير جسمى شاهد ، وتحيَّزْتُ[4] وما أنا إلا مشاهد ، وبعدتُ وقلبى قريب ، وباينت وقلبى سهيم[5] ، وأغضيت على عين كلها قذى[6] ، وانطويتُ على صدر كلُّه شجا[7] ، وانصرفت بقلب ساخط راض ، وأغمضتُ بجفن ضاحك باك ، وقلت :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائل[8]

---

(١) أى فى حالى المتصلة المرتبطة بحاله .

(٢) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .

(٤) تحيزت : انحرفت وملت وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .

(٥) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أى مباين لك منفصل عنك ، ولـكن قلبى مشترك بينى وبينك .

(٦) القذى : ما يدخل فى العين من جسم غريب عنها .

(٧) الشجا : ما ينشب ويعلق فى الحلق من شوكة ونحوها .

(٨) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول فى خالد بن عبـد الله القسرى والى العراق للخليفة هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نسجْت فى ذم الظالم حُللا لا يبليها الماء ، ولا يجففها الهواء ، ولا تغطى عليها الظلماء . والمغبون من احتقب[١] الإثم ، والغارم من غرم العرض ، والرابح من محنتهُ فانية ، ومثوبتُه باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف المظلوم لكان يهنَّى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مَدَد[٢] ولا ليومها غد ، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر ، وخاتمة لقائه لريب الدهر . ولا حرمه فيما نزل به مثوبةَ الصابرين ، ولا أخلاه .وفيما بعده من مزيد للشاكرين برحمته .

٤ — البديع الهمذانى[٣]

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز علىّ أطال اللهُ بقاء الرئيس . أن ينوب فى خدمته قلمى ، عن قدمى ، ويسعدَ برؤيته رسولى ، دون وصولى . وَيرد مشرع[٤] الأنس به كتابى ، قبل ركابى ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ! .

وعلىّ أن أسعى وليـ س علىّ إدراك النجاح

(١) احتقب الشيء : جعله فى حقيبته .
(٢) أى لا يعقبها غيرها .
(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ، ونبغ فى الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات سنة ٣٩٣ هـ .
(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ داره . وقبَّلْت جداره . وما بى حب الجدران ، ولكن شغفاً بالقطّان[١] . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان . وحين عدت العوادى عنه أمليتُ ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصير وقع ، أو فتور فى الخدمة عرض ، ولكنى أقول :

إن يكن تركنا لقصدك ذنبًا فكفانا ألا نراك عقابا

المقامة القريضية

وللهمذانى مقاماتٌ[٢] معروفة ، وهذه هى المقامة الأولى منها :

حدّثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتْنى النوى مطارحها حتى إذا وَطئتُ جرجان الأقصى ، استظهرت على الأيام بضياعٍ أجلتُ فيها يد العمارةَ ، وأموالٍ وقفتُها على التجارة ، وحانوتٍ جعلتُه مَثَابَة ، ورفقة اتخذتُها صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيَتِى النهار ، وللحانوت ما بينهما ، فجلسْنا يوما نتذاكرُ القريض وأهله ، وتِلقاءنا شابٌ قد جلس غير بعيد ، يُنصتُ وكأنه يفهم ، ويسكُتُ وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا

---

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان ، المقيم به . وهذا المعنى مضمون قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ، ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة . مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمى بها المجلس ومكان الاجتماع ثم اتسع استعمالها حتى سمى بها ما يقال فى المجلس من خطبة وموعظة . فقالوا : مقامات الخطباء ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية بين اثنين أو أكثر أو موعظة أو وصف أو بحث أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريرى والهمذانى .

مَيْلَه ، وجرّ الجدال فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عُذَيقَه ، ووافقتم جُذَيله[١] ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرتُ وأوردت ، ولجلوت الحقّ فى معرض بيان يُسْمِعُ الصمّ ، ويُنزِلُ العُصم[٢] . فقلت : يا فاضل ادن فقد منّيْت ، وهات فقد أثنيت ؛ فدنا وقال : من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطيرُ فى وُكُناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسبًا ، ولم يُجِد القول راغبًا ؛ ففضل من تفتّق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول فى النابغة ؟ قال : ينسُب إذا عشق ، ويسلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب ، ولا يرمى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول فى زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعر والشعرُ يذيبُه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقول فى طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتُها ، وكنزُ القوافى ومدينتُها ، مات ولم تظهر أسرارُ دفائنه ، ولم تفتحْ أغلاقُ[٣] خزائنه . قلنا : فما تقول فى جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شعرا ، وأغزرُ غزرا[٤] ، والفرزدق أمتَنُ صخرا[٥]

---

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، كذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ، لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أى يربطونه بسعفها لئلا ينقصف ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون فى الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكالون) .

(٤) غزرا . مصدر غزر .

(٥) أى أنه متنوع القوافى .

وأكثرُ فخرا ، إذا نسب أشجى[١] ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى[٢] . والفرزدق إذا افتخر أجزا[٣] ، وإذا احتقر أزْرى ، وإذا وصف أوفى . قلنا : فما تقول فى الْمُحْدَثين من الشعراء والمتقدّمين منهم ؟ قال : المتقدّمون أشرفُ لفظا ، وأكثر من المعانى حظّا ، والمتأخرون ألطفُ صُنْعا ، وأرقّ نسجا . قلنا : فلو أريت من أشعارك ، ورويت لنا من أخبارك ! قال : خذهما فى معرض واحد . وقال :

إمّا تروْنِي أتغشّى طمرا[٤] ... مُمْتَطياً فى الضُّرِّ أمراً إمرا[٥]
مُضْطبِناً على الليالى غمرا ... ملاقياً منها صُروفاً حُمْرا[٦]
أقصى أمانىّ طلوعُ الشِّعرى ... فقد عنينا بالأمانى دهْرا[٧]
وكان هذا الْحُرُّ أعْلَى قدْرًا ... وماء هذا الوجه أغلى سعرا[٨]
ضربتُ للسَّرّا قبابا خضرا ... فى دار دارا وإوان كسرى[٩]
فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهرا ... وعادعُرفُ العيش عندى نكرا

---

(١) لغة فى شجا ، بمعنى : أحزن .
(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .
(٣) مسهل أجزأ بالهمزة : يعنى كفى وأغنى .
(٤) الطمر : الثوب البالى .
(٥) أمرا إمرا : منكرا عجبا .
(٦) الحمر : جمع حمراء ، يريد صروفا شديدة الوقع .
(٧) الشعرى : نجم يطلع فى الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار
(٨) يريد بالحر . نفسه .
(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإيوان كسرى : بهو عظيم فى القصر الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوان بحذف يائه لضرورة الشعر .

لم يبق من وَفْرى إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلُمَّ جرًّا(١)
لولا عجوز لى بُسرَّ منْ را وأفرخٌ دون جبال بُصرى(٢)
قد جلَب الدهرُ عليهم شرًّا قتلتُ يا سادات نفسى صبْرا

قال عيسى بن هشام . فأنلتُه ما تاح(٣) وأعرض عنّا فراح . فجعلت أنفيه وأثبتُه ، وأنكره وكأنّى أعرفه ، ثم دلّتْنى عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندرىّ والله ! فقد كان فارقنا خِشفاً(٤) ووافانا جِلفاً(٥) . ونهضتُ على أثره ، ثم قبضتُ على خصْره ، وقلت :

ألست أبا الفتح ؟ « ألم نربِّك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عُمرُك سنين ؟ » فأى عجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك إلى ، وقال :

ويحك ! هذا الزّمان زُورُ فلا يغرّنّك الغرُورُ(٦)
لا تلتزمْ حالةً ولكن دُرْ بالليالى كما تدورُ

---

(١) الوفر : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشىء : التحدث عنه بعد زواله .
(٢) سر من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى . شمال بغداد ، وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هى التى يريد ، والثانية من بلاد حوران بالشام . يعنى أن له أماً أو زوجاً عجوزاً بسر من رأى ، وأولاداً صغاراً بقرب جبال بصرى ، ولولا هؤلاء لقتل نفسه .
(٣) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .
(٤) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيراً .
(٥) الجلف الرجل الجافى .
(٦) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بمظاهرها .

ثانيا ــ النثر العلمى التأليفى

١ ــ ابن جنى (١)

قطعة من كتابه « الخصــــائص » :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أمّا حدُّها فإنها أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم . هذا حدُّها : وأمّا اختلافها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمُواضعةٌ هى (٢) ، أم إلهام . وأمّا تصريفها ومعرفةُ حُروفها فإنها فُعَلَةٌ من لَغوتُ أى تكلّمْتُ . وأصلُها لُغَة كَكُرةٍ وقلة (٣) وثُبَة (٤) كلُّها لاماتها واواتٌ ، لِقولهم كَرَوْتُ بالكرة ، وقلوْتُ بالقُلَّة ، ولأنّ ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دلَّتُ على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى « سر الصناعة » وقالوا : لها لُغاتٌ ولُغُون ، كَكُرات وكُرُون ، وقيل منها : لغى يلْغى إذا هذَى . قال :

وربّ أسراب حجيج كظَّم   عن اللَّغا ورفَث التَّكلم

وكذلك اللغْو ، قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مروا باللغــو مرُّوا كراما » أى بالباطل . وفى الحـديث : « من قال فى الجمعة صهْ فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف (٥) .

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (وكان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ١٩٢ هـ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبة : وسط ، يثوب إليه الماء من الجوانب .

(٥) أى ما يكفى .

٢ — الجرجانى [1]

فصل من كتابه « دلائل الاعجاز » :

وإذ قد عرفتَ هذه الأصول والقوانين فى شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالُها مع التى قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيد مع المؤكَّد ، فلا يكونُ فيها العطفُ البتة ، لشبه العطف فيها — لو عطفت — بعطفَ الشيء على نفسه ، وجملة حالُها مع التى قبلها حالُ الاسم يكون غير الذى قبله إلا أنّه يُشاركُه فى حُكم ، ويدخلُ معه فى معنى : مثلُ أن يكون كلا الاسمين فاعلًا أو مفعولا أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف ، وجملة ليْست فى شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التى قبلها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شيء ، فلا يكونُ إيَّاه ولا مُشاركا له فى معنى ، بل هو شيء إن ذُكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكرُ الذى قبله وتركُ الذكر سواء فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ، وحقُّ هذا تركُ العطف البتة . فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حالٌ بيْن حالين ، فاعرفه .

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى ، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذى نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكى إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينها وتوفى سنة ٤٧١ هـ

٣ — الحريرى (١)

وللحريرى فى كتابه « درة الغواص ، فى أوهام الخواص » :

ويقولون : هذا بعد اللتَّيا والتى ، فيضمُّون اللام الثانيةَ من اللتيا ، وهو لحنٌ فاحشٌ وغلطٌ شائن ، إذ الصوابُ فيها اللَّتيَّا (بفتح اللام) لأن العرب خصَّتْ الذى والتى عند تصغيرهما وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفًا فى آخرها عوضاً عن ضمّ أوّلها ، فقالوا فى تصغير الذى والتى : اللذيَّا واللّتيَّا ، وفى تصغير ذاك وذلك ذيَّاك وذيالك أنشد ثعلب :

بذّيالك الوادى أهيم ، ولم أقل … بذيَّالك الوادى وذيَّاك من زهد

ولكن إذا ما حُبَّ شئ تولَّعتْ … به أحرُفُ التصغير من شدة الوجْد

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة . كما يقال : يا بُنىَّ ، ويا أُخىَّ .
وقوله : إذا ما حُبَّ شئ يعنى به أحبّ لأنه يقال حبَّ الشىءَ وأحبَّه بمعنى (٢) ، كما جاء فى المثل السائر : من حبَّ طبَّ (٣) ، إلا أنَّهم اختاروا أن بنَوْا الفاعل من لفْظة أحبّ ، وَبنَوْا المفعول من لفْظة حبَّ ، فقالوا للفاعل : مُحبٌّ ، والمفعول محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين فى الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع فى المفعول محب ، وعليه قول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظنِّى غيرهُ … منى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَم

* * *

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء . توفى سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره « المقامات » المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتى للامور وتلطف . أى من أحب شيئا استعمل الأناة والرفق واستخدم الحيلة رغبة فى الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سهرنا البارحة ، وسَرَيْنَا البارحةَ . والاختيار فى كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سَرَيْنا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سهرنا البارحة .

ويتفرع على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال صُبِّحْتَ بخير ! وكيف أصْبَحْتَ ؟

٤ — المسعودى [١]

قطعة من مقدمة كتاب « التنبيه والإشراف » :

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التى هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه ، ولم نُخله من دلائل تَعضُدها ، وبراهين تؤيدها عَقلا وخبرا ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهد من الشعر على حسب الشىء المذكور وحاجته إلى ذلك . ونحن وإن كان عصرُنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ، وأيامُنا بعيدةً عن أيامهم فنرجو ألا نُقَصِّر عنهم فى تصنيف نَقْصدُه ، وغرض نؤمُّه [٢] ، وإن كان لهم سبقُ الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخرُ أحسن تأليفاً ، وأتقن تصنيفاً لحُنكة التجارب ، وخشية التتبع ، والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن ههنا صارت العلوم ناميةً

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البحاثة أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ، سليل عبد الله بن مسعود الصحابى صاحب كتاب مروج الذهب . والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرهما . توفى سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمه : نقصد إليه .

غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجدُه الأول ، وذلك إلى غير غاية محصورة ، ولا نهاية محدودة ، وقَدْ أَخبَرَ اللهُ عَزّ وجل بذلك فقال : « وفوقَ كل ذى علم عَليم » ؛ على أن من شيم كثير من النـاس الإطراء للمتقدّمين ، وتعظيم كتب السالفين ، ومدحَ الماضى ، وذمّ الباقى . وإن كان فى كتب المُحْدَثين ما هو أعظمُ فائدة وأكثرُ عائدة[1] . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الـكتاب الـكثير المعانى الحسن النظم فينسُبُهُ إلى نفسه فلا يرى الأسماع تُصغى إليه ولا الإرادات تيمِّمُ نحوه . ثم يؤلف ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقل فائدة ، ثم ينحله عبدَ الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرهما من المتقدمين ، ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين ، فيقبلون على كَتْبها[2] ، ويسارعون إلى نسخها لا لشىء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ، ولِما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ، ومنافسته على المناقب التى يخص بهـا ويعنى بتشييدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعْطوا كل شىء حقّه من العـدل ، ووفّوْه قسْطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصاً ، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائدا . فلمثل هؤلاء تُصنّفُ الـكتب وتدوّن العلوم ، وسنذكر الآن الأمم السبع السالفة فى سابق الدهر ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

---

(١) العـائدة : المنفعة .

(٢) الـكتب : الـكتابة .

٥ — المـاوَرْدىّ(١)

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فهُو فى السياسة أوْفى شرْطيْها ، وفى لوازارة أكْفى نظريها ، لظفر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل فى منثور الحِكَم : بالإقدام ترتفع الأقدام ، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرتْ أسبابهُ ، وقصدت أبوابهُ ، فى إبّانه ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غيْر بابه ضللْت وإن تقْصدْ إلى الباب تهتْدى

ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأى ، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها ، فإذا تـكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة لم يمْنع من الظفر إلا عوائقُ القدر . وقد قيل فى قديم الحِكَم : إذا طلب أثنان حظاً ظفر به أفضلهُما ديناً . فإن استويا فى الدّين ظفر به أفضلهما مُروءةً ، فإن استويا فى المروءة ظفر به أكثرُهما أعواناً ، فإن استويا فى الأعوان ظفر به أسعدُهما جَدًّا . فإن انثلم من شروط الإقدام أحدُها صـار الإقدامُ تغريراً يمنعُ من حزْم ذى اللُّب ، ويصُدُّ عن الظّفر ، ما لم يغْلب قدر ، فما الأقدارُ بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذى يُدركُ به العاجزُ حاجته هو الذى

---

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المـاوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير . وهما مطبوعان ، وله كثير من الـكتب غيرهما .

يحول بين الحازم وطلبته . وقد قيل لبُزُرْجمهر : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء[1] العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير ! ما الذى لا يُحْتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له ، الدولة[2] ، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

٦ — ابن حمدون[3]

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ، وهو فى سياسة الوزراء والكُتاب وأتباع السلطان

قالوا : من صحب الملوك وقرُب منهم ، ينبغى أن يكون جامعاً للْخلال المحمودة ؛ فأوّلها العقلُ ؛ فإنه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمار العقل ، ولا تليق صحبة الملك بأهل الجهل . والود ، فإنه خلق من أخلاق النفس ، يُولِّده العدل فى الإنسان الذى وَدَّه . والنصيحة ؛ وهى تابعة للوُدِّ ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاء ؛ فإنه شيمة لا تتمُّ الصحبة إلا بها . وحفْظ السر ، وهو من صدق الوفاء . والعفة عن الشهوات والأموال . والصَّرامةُ ، وهى شدّة القلب ، فإن الملوك

---

(١) أكدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق فى الغلبة والحظ . ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوما وتعين عليه يوما .

(٣) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والسياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

لا يصحبهم أولو النكول ، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد . والصدقُ ؛ فإنه من لا يصدُق يكذب ، ومَضَرّة الكذب لا تُتلافَى . وحسنُ الزِّى والهيئة ؛ فإن ذلك يزيد فى بهاء الملك . والبِشْرُ فى اللقاء ؛ فإنه يتألّف به قلبَ مَن يُلاقيه ، وفى الكُلوح[١] تنفيرٌ عن غير ريبة . والأمانة فيما يُستحفظ . ورعايةُ الحق فيما يُستودَع . والعدلُ والإنصافُ ؛ فإن العدل يُصلِح السرائر ، ويجمِّلُ الظواهر ، وبه يُخاصمُ الإنسانُ نفسَه إذا دعته إلى أمر لا يَحسُنُ رُكوبُه . وينبغى له أن يجانِبَ أضداد هذه الخِلال ، وألا يكون حسوداً ، فإن الحسد يُفسد ما بينه وبين الناس ، وليُفرّقْ بين الحسد والمنافسة ؛ فإنهما يشتبهان على من لا يعقل . وأن يخلوَ من اللَّجاج والمَحك[٢] ؛ فإن ذلك يضُرّ بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك . وألا يكون بذّاخاً[٣] ولا متكبراً ، فإن البذخَ من دلائل سقوطِ النفس وشدّة الطيْش والبعد عن الصبر .

وينبغى ألا يكونَ فَدْماً[٤] وخِماً[٥] وَلَا ثقيلَ الرُّوح ؛ فإنها صفةٌ لا تليق بمن يُلاقى الملوك ، وأبداً تكون سبباً للمقْت من غير جُرْم ، وبالجملة فالفضائلُ والأخلاقُ المحمودة كثيرة ، وأوْلى الناس بطلب غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ، ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

---

(١) الكلوح : الإفراط فى العبوس والكشر عن الأنياب .
(٢) المحك : التمادى فى اللجاجة عند المساومة . والمشارة والمنازعة فى الكلام .
(٣) البذاخ : المتعاظم المتكبر يظهر التعالى على الناس .
(٤) الفدم : العاجز عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم .
(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب فى مصر والشام

(ا) الشعر

١ — المتنبى (١)

قال فى صباه من قصيدة :

أَرَقٌ على أرقٍ ومثلِيَ يأرَقُ — وجوًى يزيدُ وعَبْرَة تترقرقُ
جَهْدُ الصَّبابةِ أن تـكون كما أرى : — عَينٌ مُسَبَّدةٌ ، وقلبٌ يخفقُ
ما لاح برقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ — إلّا انْثَنيتُ ، ولى فؤاد شيِّق
جَرَّبتُ من نار الهوى ما تنطفى — نارُ الغَضَى ، وتـكلُّ عما يُحرق (٢)
وعذَلتُ أهلَ العشقِ حتى ذقتُه — فعجبتُ كيف يموتُ مَن لا يعشَق
وَعذرتهم ، وعرفتُ ذنبى أننى — عيَّرتُهم ، فَلَقيتُ منهُ ما لَقوا
أبَـنِى أبِينا نحنُ أهلُ منازل — أبداً غُراب البَيْن فيهـا ينعَق (٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة والمخترعة . ولد بالـكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه ادعى النبوّة ، فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من اهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور الإخشيدى . ثم هجاه ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفى نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكنى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكى على الدنيا ، وما من معشر ... جَمعتْهُمُ الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرةُ الجبابرة الالى ... كنزُوا الكنوز ، فما بقين ولا بقوا
من كلّ منْ ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواهُ لحدٌ ضيّق (١)
خُرْسٌ إذا نُودُوا ؛ كأنْ لمْ يعلموا ... أنّ الكلام لهم حلالٌ مُطلق
فالموتُ آت ، والنفوس نفائس ... والمستعزٌّ بما لديه الأحمق
والمرء يأمُلُ ، والحياة شهيّة ، ... والشيبُ أوقرُ ، والشبيبة أنزق
ولقد بكيتُ على الشباب ولمّتى ... مُسودَّةٌ ، ولماء وجهى رونق (٢)
حذراً عليه قبل يوم فراقه ... حتى لكدتُ بماء جفنى أشرق (٣)

وقال من قصيدة يصف حرباً :

أتوْك يجُرُّون الحديد كأنما ... سَرَوْا بجياد ما لهُن قوائمُ (٤)
إذا برقُوا لم تعرف البيضُ منهمُ ... ثيابُهم من مثلها والعمائمُ (٥)
خميس بشرق الأرض والغرب زحْفُه ... وفى أُذن الجوزاء منه زمازمُ (٦)

---

(١) ثوى الرجل : هلك .

(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .

(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ، ولكنه يبكى الشباب حذرا من زواله .

(٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلو لم تميز السيوف منهم ، لأن ثيابهم من الحديد أيضا ، ولأنّ عمائمهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .

(٦) الخميس : الجيش . والجوزاء : برج فى السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

تجمَّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ   فما تفهمُ الُحدَّاثَ إلا التراجم (١)
فلله وقتٌ ذوّب الغشّ نارُه   فلم يبق إلا صارمٌ أو ضُبارمُ (٢)
تَقَطَّع ما لا يقطعُ الدِّرع والقنا   وفرّ من الفُرسان من لا يُصادم (٣)
وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم (٤)
تمُرُّ بك الأبطالُ كلْمى هزيمةً   ووجهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُك باسم (٥)
تجاوزت مقدار الشجاعة والنُّهى   إلى قول قوْم : أنت بالغيب عالم (٦)
ضممت جناحيهم على القلب ضمة   تموتُ الخوافى تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات ، والنصر غائب   وصار إلى اللَّبَّات ، والنصر قادم (٧)
حقرْت الرُّدينيّات حتى طرحتها   وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم (٨)

---

(١) اللسن : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أمم مختلفة الألسن : كالروم ، والصقلب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش : الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففلت وكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ، فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحى انطباق الجفن على العين ، بما لا يجعل المرء مجالا للشك فى أن الموت واقع لا محالة ، فكان ينبغى لمن هذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ، فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وثغرك باسما تقابل الموت مستبشرا أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .

(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .

(٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف شرف . فالشجعان تقاتل بالسيوف ، لأنها لاتبالى مقاربة الأعداء

ومن طلب الفتْح الجليل فإنّما مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصّوارمُ
نثرتَهُمُ فوْق الأُحيْدب[1] نثْرةً كما نُثرتْ فوْق العرُوس الدّراهم

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم ، وبناءه مرْعشاً[2] :

فديْناك من ربع ، وإن زدتنا كرْبا فإنك كنتَ الشرقَ للشمس والغرْبا
وكيف عرفْنا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرُسوم ولا لبّا
نزلْنا عن الأكوار نمشى كرامةً لمن بان عنه أن نُلمّ به ركْبا[3]
نذمّ السحاب الغرّ فى فعلها به ونُعرض عنها كلّما طلعتْ عتْبا[4]
ومن صحب الدنيا طويلا تقلّبتْ على عينه حتى يرى صدقها كذْبا
وكيف ألْتذاذى بالأصائل والضحا إذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذى هبّا[5]
ذكرتُ به وَصْلًا كأن لم أفزْ به وعيشاً كأنى كنتُ أقطعُهُ وَثْبا
وفتّانة العينين قتّالة الهوى إذا نفحتْ شيْخا روائحُها شبّا
لها بشرُ الدُّرِّ الذى قُلِّدت به ولم أر بدْرًا قبلها قُلد الشُّهْبا[6]
فيا شوقُ ما أبقى ويا لى من النّوى ! ويا دمعُ ما أجرى ! ويا قلبُ ما أصبى
لقد لعب البَيْنُ المُشِتّ بها وبى وزوّدنى فى السيْر ما زوّد الضبّا[7]
ومن تكُن الأُسدُ الضوَارى جُدوده يكن ليلُه صُبْحا ومطعمُه غصْبا

(١) الأحيدب : جبل بجهة بلدة الحدث .
(٢) بلد بالشام قرب أنطاكية .
(٣) الأكوار : جماعة الإبل .
(٤) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .
(٥) أى الذى هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب .
(٦) البشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد .
(٧) ما زود الضب : أى زودنى العدم ، لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء أو زودنى الحيرة ، لأنه إذا خرج ضل .

ولست أبالى بعد إدراكى العُلا … أكان تراثاً ما تناولت أم كسبا
فرُبَّ غـلامٍ علم المجـد نفسـه … كتعليم سيف الدولة الدولة الضّربا
إذا الدولة استكفت به فى مُلمّة … كفاها فكان السيف والكف والقلْبا
تُهابُ سيوفُ الهند ، وهى حدائد … فكيف إذا كانت نزاريةً عُرْبا ؟ (١)
ويُرهب نابُ الليث ، والليثُ وحده … فكيف إذا كان الليوثُ له صحبا ؟
ويُخشى عُبابُ البحر ، والبحرُ ساكنٌ … فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبّا ؟ (٢)
عليمٌ بأسرار الديانات واللغى … له خطراتٌ تفضح الناس والكتْبا (٣)
فبوركت من غيثٍ كان جلودنا … به تُنبتُ الدّيباج والوشْى والعصْبا (٤)
ومن واهب جزلاً ، ومن زاجرٍ : هلا ، … ومن هاتك درْعا ، ومن ناثر قُصْبا (٥)
هنيئاً لأهل الثغر رأيُك فيهمُ … وأنك حزب الله صرت لهمْ حزبا (٦)
وأنك رُعت الدهر فيها وريبهُ … فإن شكّ فليُحدثْ بساحتها خطْبا (٧)

---

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ، لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .

(٤) العصب . ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، ويزجر الخيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها

(٦) هنيئا حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام ، والكلام تحد للدهر .

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ ... ويوماً بجُودٍ تطرُدُ الفقرَ والجدْبا
سراياكَ تَتْرى والدُّمُستُقُ هاربٌ ... وأصحـابُه قتْلى وأموالُه نُهْبى(١)
أتى مرْعشاً يستقربُ البُعْدَ مُقبلاً ... وأدْبرَ إذ أقبلت يستبعد القُربا
كذا يَتركُ الأعداءُ من يكرهُ القنا ... ويقفُـلُ من كانت غنيمتُه رُعبا(٢)
وهلْ ردَّ عنـه باللُّقان وقوفه ... صـدور العَوالى والمطهَّمَةَ القبَّا(٣)
مَضَى بَعْدَ ما التفَّ الرِّماحان ساعةً ... كما يَتلَقَّى الهُدبُ فى الرَّقْدة الهُدْبا(٤)
ولـكنّه وَلَّى وللطَّعْن سَوْرةٌ ... إذا ذكرتْها نَفْسُهُ لَمس الجنْبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى ... وشُعْثَ النصارىٰ والقرابين والصُّلْبا(٥)
أرى كُلَّنا يَبْغى الحيـاةَ لنفسه ... حريصاً عليها مُسْتَهَاماً بهـا صَـبَّا
فُحبُّ الجبَانِ النَّفْسَ أورده البقَا ... وحُبُّ الشجاع النفس أورده الحرْبا
ويختلفُ الرِّزقان ، والفعلُ واحدٌ ، ... إلى أن ترى إحسانَ هذا لذَا ذَنبا
فأضحت كأنَّ الشور من فوْقِ بدنِه ... إلى الأرض قد شقَّ الـكواكب والتُّرْبا(٦)
تَصُـدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافة ... وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقطَ الحبَّا(٧)
وتَرْدى الجيادُ الجردُ فوقَ جبالها ... وقد ندَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرْقها العُطْبا(٨)

---

(١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبى : منهوبة .
(٢) يقفل : يرجع :
(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .
(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .
(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام ، جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .
(٦) أى من أعلاه إلى أدناه فقد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .
(٧) تصدّ : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقائها .
(٨) وتردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد . والعطب : القطن .

كفى عجباً أنْ يَعجَب الناسُ أنه | بَنى مَرْعشاً ؛ تبًّا لأرائهمْ تبًّا ![1]
وما الفَرْقُ ما بَيْنَ الأنام وبينَه | إذا حذر المحذور واستصعب الصَّعبا
لأمْرٍ أعدَّتْ الخلافةُ للعـدا | وسَمَّتْه دُونَ العالَم الصارمَ العَضْبا
ولم تَفْترق عنه الأَسنَّةُ رَحْمَـةً | ولم تَتْرُك الشامَ الأعادى له حُبًّا
ولـكنْ نفاها عنـهُ غَيْرَ كَرِيمة | كريمُ النَّثَا ما سُبَّ قطُّ ولا سَبًّا[2]
وجَيشٌ يُثَنِّى كلَّ طَوْدٍ كأنَّه | خَرِيقُ رياح واجهتْ غُصُنًا رَطْبا[3]
كأنَّ نجومَ الليل خافتْ مُغَاره | فمَـدَّت عليها من عَجاجَته حُجْبا[4]
فمن كان يُرْضِي اللؤمَ والـكفرَ مُلْـكُهُ | فهذا الذى يُرضى المـكارمَ والرَّبَّا

وقال يذكر قيامَ شَبيب العُقيـلى : وكان خارجاً على كافور فمات فجأة وهو يحاصر دمشق . وقيل : دسَّ عليه كافور من سَمَّه . وقيل : إنه أُلقى عليه رحى من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عدُوُّك مذمومٌ بكل لسان | ولو كان من أعدائك القَمَران
ولله سرٌّ فى عُلاك ؛ وإنمـا | كلامُ العدا ضربٌ من الهذَيان
أتلتِمسُ الأعداء بعد الذى رأتْ | قيامَ دليـل أو وُضوحَ بيان ؟
رأتْ كلَّ من ينوِى لك الغدْرَ يُبْتَـلَى | بِغدر حيـاةٍ أو بغدر زَمان
برَغْم شبيبٍ فارق السيفَ كفه | وكانا على العـلَّات يصطحبان[5]

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .
(٢) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والخريق : الريح الشديدة .
(٤) مغاره : إغارته . والضمير فى عجاجته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .
(٥) العلات هنا : الأحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أى على مافيه ، أو على كل حال .

كأنّ رقاب الناس قالتْ لسيْفِهِ : رفيقُك قيسىٌّ وأنت يمانى (١)
فإن يكُ إنساناً مضَى لسبيله فإنَّ المنايا غاية الحيوان (٢)
وما كان إلا النارَ فى كلّ موضع تُثيرُ غباراً فى مكان دُخان
فنال حياةً يشتهيها عدُوُّه وموْتاً يُشهِّى الموتَ كلَّ جبان (٣)
نَفَى وقعَ أطراف الرماح برُمحه ولم يخْشَ وَقْعَ النَّجْم وَالدَّبَرَان (٤)
ولم يدر أن الموتَ فوق شَواتهِ مُعارُ جَناحٍ مُحْسنُ الطيران (٥)
وقد قَتَلَ الأقرانَ حتى قتلْتَه بأضعف قِرنٍ فى أذلِّ مكان
أتتْه المنايا فى طريقٍ خَفيَّةٍ على كلِّ سمْع حَولَه وعيان
ولو سلكتْ طُرْقَ السِّلاح لَرَدَّها بُطول يمينٍ واتِّساع جنان
تَقَصَّده المقدارُ بَيْن صحابه على ثِقَةٍ من دهره وأمان (٦)
وهل ينفع الجيْش الكثيرَ الْتفافُه على غير منْصُور وغير مُعان

✡ ✡ ✡

قضى اللهُ يا كافورُ أنك أوّلٌ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانى
فما لك تختارُ القسىَّ وإنما عن السَّعْد يرْمى دونَك الثقَّلان ؟ (٧)
وما لك تُعْنَى بالأسنة والقنا وجَدُّك طَعَانٌ بغير سِنان ؟ (٨)

---

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية فى الشام . (٢) الحيوان : الحياة .
(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكتة بلا سابق ألم ولا مرض .
(٤) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ماحسب حسابا لرزايا النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران وهو كوكب نحس كما زعموا .
(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار القدر . (٧) الثقلان : الإنس والجن .
(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . والجد : الحظ .

وَلِمْ تحمل السيفَ الطويلَ نِجادُه   وأنت غَنِىٌّ عنـه بالحَدَثان ؟[١]
أَرِدْ لى جَميلًا جُدْت أو لم تَجُدْ به   فإنك ما أحْبَبْت فىَّ أتانى
لو الفلكُ الدَّوارُ أبْغَضتَ سَعْيَهُ   لَعَوَّقَهُ شَىْءٌ عن الدَّوَران !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًّا من كافور إلى الـكوفة يهجوه وقومه :

عيدٌ بأيّة حالٍ عُدتَ ياعيدُ   بما مَضَى أم لأمرٍ فيكَ تَجديدُ[٢]
أما الأحِبَّةُ فالبيــداء دونَهمُ   فليتَ دونَكَ بيداً دُونَها بيدُ[٣]
لولا العُلا لم تَجُبْ بى ما أجُوبُ بها   وجْناء حَرْفٌ ولا جَرْداء قَيْدُودُ[٤]
وكان أطيبَ من سَيْفى مُضاجَعةً   أشباهُ رَوْنَقه الغيـدُ الأماليـدُ[٥]
لم يترِكِ الدهرُ من قلبى ولا كَبدى   شيئًا تُتَيِّمُه عينٌ ولا جيـد
يا ساقِيَىَّ أخمرٌ فى كُئُوسكُما   أم فى كُئُوسكما همٌّ وتسهيد ؟
أصخرةٌ أنا مالى لا تُحرِّكُنى   هذى المُدامُ ولا هذى الأغاريد ؟
إذا أردتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صافيةً   وجدتُها ، وحبيبُ النفْس مفقود[٦]
ما ذا لَقِيت من الدنيا وأعجبُها   أنى بما أنا باكٍ منه محسود !

---

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالـكوفة .

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : المضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلا لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكميت اللون : الخمر .

أمسيتُ أرْوَحَ مُثْرٍ خازناً وَيَداً … أنا الغَنِيُّ ، وأموالى المواعيد[1]
إنى نزلتُ بكذَّابِينَ ضيفُهُمُ … عنِ القرى وعن التَّرحال محدود[2]
جودُ الرجال من الأيدى وجودُهُم … من اللسان ؛ فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبِضُ الموتُ نفساً من نُفوسهمُ … إلا وفى يده من نَتْنها عُود[3]
أ كُلَّما اغتال عبدُ السوء سيدَه … أو خانه فَلَهُ فى مصرَ تمهيد ؟
صار الخصىُّ إمام الآبقينَ بها … فالحرُّ مستَعْبدٌ ، والعبدُ معبود
نامتْ نواطيرُ مصرٍ عن ثعالِبها … فقد بَشِمْنَ ، وما تَفنَى العناقيد[4]
العبدُ ليس لُحرٍّ صالحٍ بأخٍ … لو أنه فى ثياب الُحرِّ مولود
لا تَشْترِ العَبْدَ إلا والعَصا معه … إن العبيدَ لأنجاسٌ مَناكيد
ما كنتُ أحْسَبُنى أحيا إلى زمنٍ … يُسىء بى فيه كلْبٌ وهو محمود
ولا توهَّمت أنّ الناس قد فُقِدُوا … وأن مثلَ أبى البَيْضاء موجود[5]
وأن ذَا الأسودَ المثقوبَ مِشْفَرُهُ … تطيعُه ذى العَضاريط الرعاديد[6]

---

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التميز . أى أصبحت غنيا ، ولكن يدى وخازنى فى راحة ، إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .

(٢) القرى : مايقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فى يده عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقزرا من مس أبدانهم بيده .

(٤) النواطير . حافظو الكروم بالظاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخرية منه .

(٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللئيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاديد : جمع رعديد وهو الجبان .

جوْعانَ يأكُلُ من زادي ويُمسِكُني لكىْ يُقالَ : عظيمُ القَدْرِ مقصود
إن امرأً أمَةٌ حُبلى تُدَبِّرُه لمستَضَامٌ سخِينُ العَيْن مفئود (١)
وَيْلُمِّها خطة ! وَيْلُمِّ قابلها ! لمثلها خُلِقَ المَهريَّةُ القُود (٢)
وعندَها لَذَّ طَعْمَ الموت شاربُهُ إن المَنيَّةَ عنــد الذلِ قنديد (٣)
مَن عَلَّمَ الأسود المخصىَّ مكرُمةً ؟ أقوْمُهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيد ؟
أم أذْنُهُ فى يد النَّخاس داميةً أم قَدرهُ ، وهو بالفَلْسَيْن مردود
أولَى اللئام كُوَيْفيرٌ بمعذرة فى كلِّ لؤمٍ ، و بعضُ العذر تفنيد (٤)
وذاك أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميل ، فكيف الخصيةُ السُّودُ ؟ (٥)

وقال يمدح سيف الدولة و يعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر :

واحَرَّ قلباهُ ممنْ قلبُه شبِمُ ومن بجِسْمِي وحالى عنده سَقَمُ (٦)
مالى أُكتِّم حُبًّا قد برى جسدى وتدَّعى حُبَّ سيف الدولة الأُمم

---

(١) مفئود : مصاب فى فؤاده . أى إن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل .

(٢) ويلمها : أى ويل لأمها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلة واحدة ولام ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة أم المحذوفة إليها على لغة من يكسر همزة أم ، وهى سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لمثلها الخ أى لمثل الخلاص منها . والمهرية : النوق المنسوبة إلى بلاد مهرة ، وهى كريمة سريعة السير . والقود : جمع قواد ، وهى الطويلة .

(٣) القنديد : العسل من قصب السكر .

(٤) كويفير : تصغير كافور . والتفنيد : اللوم والمؤاخذة .

(٥) جمع خصى ، ويجمع أيضاً على خصيان .

(٦) الهاء فى قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف أو هو مذهب كوفى . والشبم : البارد . أى ماأشد حرارة قلبى من حب الذى برد قلبه .

إن كان يجمعنا حبٌّ لغُرَّته ... فليتَ أنّا بقدر الحب نقتسم (١)
قد زرتُه ، وسيوف الهند مُغمدةٌ ... وقد نظرتُ إليه ، والسيوفُ دَم (٢)
فكان أحسنَ خلقِ الله كلّهمُ ... وكان أحسن ما فى الأحسن الشيمُ
فوْتُ العدُوّ الذى يممتَهُ ظَفَرٌ ... فى طَيّه أسَفٌ فى طيّه نِعم (٣)
قد ناب عنك شديدُ الخوف واصطنعت ... لك المَهابةُ ما لا تصنعُ البُهَم (٤)
ألزمت نفسَك شيئاً ليس يلزَمُها ... ألّا تُواريَهم أرضٌ ولا عَلَم (٥)
أَكُلَّمَا رُمت جيشاً ؟ فانثنى هرَباً ... تصرّفَتْ بك فى آثاره الهمَمُ ؟
عليك هزْمُهمُ فى كلّ معتَرَكٍ ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما ترى ظَفَرًا حُلْوًا سوى ظَفَرٍ ... تصافحت فيه بيضُ الهند واللمَمِ (٦)
يا أعدلَ الناسِ إلا فى مُعاملتى ... فيكَ الخصامُ ، وأنتَ الخصمُ والحكَمُ !
أعيذها نَظَراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحْمَ فيمَنْ شحمُهُ وَرَم
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره ... إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلَم
أنا الذى نَظَر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعَتْ كلماتِى مَن به صَمَم (٧)

---

(١) الغرة : الوجه . أى ليته يرعى كلامنا بقدر حبنا إياه .

(٢) أى أن خدمته فى حالتى السلم والحرب .

(٣) أى أن فوت العدوّ وفراره منك ظفر لك فى ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٥) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم ، بل يكفيك فرارهم . والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٦) اللمم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرءوس .

(٧) يريد بكلماته أشعاره .

أنامُ ملءَ جُفونِي عن شواردِها ... ويَسْهرُ الخلْقُ جرّاها ويختَصِم (١)
وجاهلٍ مدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي ... حتى أتتْهُ يَدٌ فرّاسَةٌ وفم
إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزةً ... فلا تظنّنَّ أن الليثَ يبتَسِم
ومُهجةٍ مهجتي منْ همِّ صاحبها ... أدركتُها بجوادٍ ظَهرُه حَرَم (٢)
رجلاهُ في الركضِ رجلٌ، واليدانِ يَدٌ ... وفعلُه ما تُريدُ الكفُّ والقَدَم (٣)
ومُرْهَفٍ سِرْتُ بيْنَ الجحفلَيْنِ به ... حتى ضرَبتُ، وموْجُ الموتِ يَلتطم
فالخيلُ والليلُ والبيداء تَعرفُني ... والحرْب والضَّرب والقرطاسُ والقلَم
صحبت في الفلوات الوحشَ منْفرداً ... حتى تعجَّبَ مني القُورُ والأكم (٤)
يا من يعزّ علينا أن نُفارقَهم ... وجدانُنا كلَّ شيء بعدَكم عَدَم (٥)
ما كان أخلقنا منكم بتكْرِمةٍ ... لو أن أمرَكُمُ من أمرِنا أمَمُ
إن كان سرّكُمُ ما قال حاسِدُنا ... فما لجُرحٍ إذا أرضاكمُ ألمُ
وبيننا لو رعيتُمْ ذاك معرفَةٌ ... إن المعارف في أهل النهى ذِمَمُ
كم تطلُبون لنا عيْباً فيُعْجِزُكمْ ... ويَكرَه اللهُ ما تأتون والكرم

---

(١) شوارد الأشعار، سوائرها وذائعاتها: أي أنه ينظمها وينـام، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقداً واجتلابا وحفظا ورواية.

(٢) أي ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتي أنا من همه وقصده، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن.

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال: رجلاه رجل واحدة، ويداه يد. يعني أنه يرفع رجليه معا ويضعهما كذلك. وكذلك يداه. وفعله في الجرى يغني عن الكف التي تحمل السوط وعن القدم التي يستحثه بها.

(٤) القور: جمع قارة. وهي الأكمة في الأرض الحرة (البركانية).

(٥) الوجدان: الوجود. أي لما فارقناكم كان كل شيء نجده في حكم العدم.

ما أبعدَ العيبَ والنقْصانَ من شَرَفى ؛ أنا الثُّريّا ، وذانِ الشيْبُ والهَرَمُ
ليتَ الغمامَ الذى عندى صواعقُه يُزِيلهُنَّ إلى مَن عنده الدِّيَمُ
أرى النَّوَى يَقتضينى كلَّ مرحَلَة لا تَستقلُّ بها الوَخادةُ الرُّسمُ (١)
لئن تركْن ضُمَيْرًا عن مَيامِننا ليحْدُثَنّ لِمَن ودّعتهم ندَم (٢)
إذا ترحّلت عن قوم وقد قدرُوا ألا تُفارقهم فالراحلون هُم
شر البلاد مكانٌ لا صديق به وشرٌّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يصِم
وشرُّ ما قنصتْه راحتى قنصٌ شُهبُ البُزاة سواءٌ فيه والرَّخَم (٣)
بأى لفظ تقول الشعرَ زِعنِفةٌ تجوزُ عندك لا عُربٌ ولا عجم (٤)
هذا عتابُك إلّا أنه مِقَةٌ قد ضُمِّن الدُّرَّ إلّا أنه كَلِمُ (٥)

وقال فى الحكمة :

إذا غامرت فى شرفٍ مَرُومِ فلا تَقْنعْ بما دُونَ النُّجومِ
فطَعْمُ الموْت فى أمرٍ حقيرٍ كطعم الموْت فى أمرٍ عظيمِ
ستَبكى شجْوَها فرَسى ومُهرى صفائحُ دمعُها ماءُ الجُسومِ (٦)
قرَبْنَ النارَ ، ثم نشأنَ فيها كما نشأَ العذارَى فى النعيمِ
وفارقْنَ الصياقل مُخْلصاتٍ وأيديها كثيراتُ الكلومِ (٧)

---

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .
(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذاهب إلى مصر من حلب .
(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .
(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه به الأرذال والأوشاب .
(٥) المقة : الحب والعشق .
(٦) يريد بالصفائح السيوف ، ثم أخذ فى وصفها الخ .
(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . والكلوم جمع كلم ، وهو الجرح أى وأيدى الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعةٍ في المرءِ تُغني ... ولا مثلَ الشجاعة في الحكيم
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتُه من الفهْم السقيم
ولكن تأخذُ الآذانُ منه ... على قدْر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أوَدّ من الأيّام مالا توَدُّهُ ... وأشكو إليها بَيْننا وهي جُندُه (١)
يباعدْن حِبًّا يجْتَمِعْن ووَصْلُه ... فكيف بحِبٍّ يجتمعْن وصده (٢)
أبى خُلُقُ الدُّنْيا حبيباً تُديمُه ... فما طَلَبي منها حَبيبا ترُدُّهُ ؟
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيُّرًا ... تكلفُ شيءٍ في طِباعك ضِدُّهُ
رعى اللهُ عيساً فارقتْنا وفوقَها ... مهًا كلها يُولَى بجفنيه خدُّه (٣)
بوادٍ به ما بالقلوب كأنّه ... وقد رحلوا جيدٌ تناثرَ عقدُه (٤)
إذا سارت الأَحداجُ فوق نَباتِه ... تفاوَحَ مسكُ الغانيات ورَنْدُه (٥)

---

(١) أي أود منها ما لا توده من إنصافي وتنويلي مرادي ، وأشكو إليها فراقنا ، وهي عون من الفراق .

(٢) وصله وصده : معطوفان على الضمير في يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أي يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في حسن العينين . ويولى : يمطر ، أي ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أي رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكي فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أي فارقتنا بواد به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزينا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو للنار . أي إذا سارت الإبل حاملة لهن في الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادي .

وحالٍ كإحداهُن رُمْتُ بُلوغَها ... ومن دُونِها غَوْلُ الطريق و بُعْدُه[1]
وأتعبُ خلْق الله من زادَ همُّــه ... وقَصَّرَ عما تَشْتَهِى النفسُ وُجدُه[2]
فلا يَنْحَلِلْ فى المَجد مالُك كلُّه ... فينحلَّ مَجْدٌ كان بالمــال عَقْدُه
ودَبِّرْه تدبيرَ الذى المجـدُ كَفهُ ... إذا حارَبَ الأعداءَ ، والمالُ زَنْدُه[3]
فلا مَجْدَ فى الدنيا لمَن قلّ ماله ... ولا مالَ فى الدنيا لمَن قلّ مَجْدُه
وفى الناس مَن يرضَى بميسور عيْشه ... ومركوبُه رجلاهُ ، والثَّوبُ جلْدُه
ولــكنَّ قَلْباً بين جَنْبَىّ مالَهُ ... مَدًى ينتهى بى فى مُرَادٍ أحُدُّه
يَرَى جسمَه يُكسَى شُفُوفا تَرُبُّهُ ... فيختارُ أن يُكسَى دُروعاً تَهُدُّه[4]
يُكَلِّفُنِى التهجيرَ فى كلِّ مَهْمَهٍ ... عَليقى مَراعيــه وزادِى رُبْدُه[5]

وقال فى وصف الحياة والناس :

صَحِبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانَا ... وعَنَاهُمْ من شــأنِه ما عنانا
وتولَّوْا بغُصَّةٍ كلهم منْـ ... ـه ، وإن سرّ بعضَهم أحيانا
رُبَّمــا تحسنُ الصنيعَ لياليــ ... ـه ، ولــكنْ تُـكَدِّرُ الإحسانا
وكأنَّا لم يرضَ فينا بِرَيب الدْ ... دَهْر ؛ حتَّى أعانَهُ مَن أعانا
كلَّما أنبتَ الزمانُ قنــاةً ... ركَّبَ المرءُ فى القناة سنانا[6]

---

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هذه النسوة فى الصعوبة والامتناع وتعذر الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المـال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع فى الـكف ، ومن الزند يستمد الـكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتنميه .

(٥) التهجير : السير فى الهاجرة وهى نصف النهار . والمهمه المـكان القفر . والربد : جمع أربد يريد بها النعام . أى لا عليق له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة : الرمح . والسنان : رأسه الذى يطعن . وهو النصل .

ومُرادُ النّفُوس أصغرُ منْ أنْ تتعادى فيه ، وأنْ تتفانى
غير أن الفتى يُلاقِي المنايا كالحات ، ولا يُلاقِي الهَوانا
ولَو أن الحياةَ تبْقى لحىّ لعدَدْنا أضَلّنا الشُّجْعانا
وإذا لم يكن من الموْت بُدٌّ فمن العَجْز أن تكون جبانا
كلُّ مالم يَكُنْ من الصعب فى الأنفُس سهْلٌ فيها إذا هُو كانا(١)

٢ – أبو فراس(٢)

قال فى الشكوى والعتاب :

وإنّى وقوْمى فرّقتْنا مذاهبُ وإن جمعتْنا فى الاصول المَناسبُ
فأقصاهُمُ أقصاهُمُ من مساءَتى وأقربُهم مما كرِهتُ الأَقاربُ
غريبٌ وأهلِى حيثُما كرّ ناظرى وحيدٌ وحَوْلى من رجالى عَصائبُ(٣)
نَسِيبُك من ناسبْتَ بالوُدّ قلبَه وجارُك من صافَيْتَه لا المُصاقبُ(٤)
وأعظمُ أعْداءِ الرجال ثِقاتُها وأهونُ من عاديْتَه منْ تُحاربُ
وما الذنبُ إلا العَجزُ يركَبُه الفتى وما ذنبُه إن حَاربَته المطالبُ
ومن كانَ غيرُ السيف كافلَ رزْقه فلِلذلِّ منه — لامَحالةَ — جانبُ

---

(١) أى أن كل شىء صعب لم تصب به النفس يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .

(٢) هو أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبي ، كان شاعراً أديباً فارساً . طالما قاتل الروم بين يدى سيف الدولة أمير حلب ، وأسر فى إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد فى إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة ، ثم فك أسره ، وسكن منبج مولياً عليها . ثم قتل فى ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .

(٣) عصائب : جماعات .

(٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال فى الحكم :

أنْفق من الصبر الجميل ، فإنّه   لم يَخْش فقراً منفقٌ من صبْره
والمرء ليس ببالغ فى أرضِه   كالصقر ليس بصائد فى وَكرِه

وقال يشكو حاسديه و يذم فعلهم :

ومُضْطَغنٍ[(١)] لم يحمل السِّر قلبُه   تلَفَّت ثم اغتابنى وهو هائب
تردَّى رداء الذل لمَّا لَقيتُه   كما تتردَّى بالغُبَار العناكب
ومن شَرَفى ألا يزال يعيبنى   حسود على الأمر الذى هو عائب
رمتْنى عيون الناس حتى أظُنها   ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب
ولست أرى إلَّا عدوًّا محاربًا   وآخرَ خيرٌ منهُ عِنْدى الْمُحارب[(٢)]
فهُم يُطفئُون المجد ، والله واقد   وهم ينقصُون الفضْل ، والله واهب
وهل يدفع الإنسانُ ما هو واقعٌ   وهل يعلمُ الإنسانُ ما هُو كاسِب
وهل لقضاء الله فى الناس غالب   وهل من قضاء الله فى النَّاس هارب
علىَّ طلَابُ العزِّ من مُسْتَقرِّه   ولا ذنْب لى إنْ حار بتْنى المطَالبُ[(٣)]
إذا الله لم يُحرزكَ ممـا تخافه   فلا الدِّرعُ منَّاعٌ ولا السيفُ قاضب[(٤)]

وقال فى وصف كتاب ورد عليه من صد يق له :

ووارِدٍ مُوردٍ أُنْساً يؤكِّدهُ   صُدورهُ عن سليم الورْد[(٥)] والصدر[(٦)]
شُدَّت سحائبه منه على نُزَهٍ[(٧)]   تُقَسِّمُ الحسن بيْن السَّمْع والبَصَر

---

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .
(٢) يريد الحسود المنافق الذى يبطن له العداوة .   (٣) الطلاب : الطلب .
(٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .
(٥) ورد الماء والمكان : وصل إليه .
(٦) صدر عن المكان وعن الماء : رجع عنه إلى المكان الذى صار إليه .
(٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُذُوبَةٌ صَدَرتْ عن منطقٍ جَدَدٍ[١] كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر
وروضة من رياض الفكر دبَّجها[٢] صوبُ[٣] القرائح لا صوبٌ من المطر
كأنما نَشَرت أيدى الربيع بها بُرْداً[٤] من الوشى[٥] أو ثوباً من الحبر[٦]

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب فى جيش ابن عمه سيف الدولة :

أُسرت وما صحبي بعُزلٍ[٧] لدى الوَغَى ولا فرسى مُهْرٌ ولا رَبُّهُ غُمْرُ[٨]
ولكن إذا حُمَّ[٩] القضاء على امرئٍ فليس له برٌّ يقيه ولا بحر
وقال أُصيحابى : الفرارُ أو الرَّدى فقلت : هما أمران ، أحلاهما مر
ولكننى أمْضى لما لا يعيبُنى وحسبُك من أمرين ، خيرهما الأسْرُ
يمُنُّون أن خلَّوْا ثيابى ، وإنما علىَّ ثياب من دمائهم حمرُ
ونحن أناسٌ لا توسُّطَ عندنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تهُون علينا فى المعالى نُفوسُنا ومن يخطُب الحسناء لم يغلها المهرُ

---

(١) سهل .
(٢) نقشها .
(٣) نزول المطر .
(٤) ثوب مخطط .
(٥) كثير الألوان .
(٦) برد يمان .
(٧) لا رماح معهم . مفرده : أعزل .
(٨) من لم يجرب الأمور .
(٩) نزل .

وكتب وهو فى أسر الروم إلى سيف الدولة :

أبى غَرْب هذا الدّهر إلا تسرُّعَا ومكنونُ هذا الُحبِّ إلا تضوُّعا
فلما استمرّ الحب فى غُلوائه رعيْتُ مع المضياعة الغِرِّ مَا رَعَى[1]
فُحزْنِىَ حُزنُ الهائمين مُبرِّحًا وسرّى سرُّ العاشقين مُضيَّعا
خليلى : لم لا تبكيانِ صبابةً أأبدلْتُما بالأجرع الفرد أجرعا[2]
علىَّ لمن ضنَّتْ علىَّ جفُونُه غواربُ دمع يشملُ الحىَّ أجمعَا[3]
وهبْتُ شَبابى ، والشبابُ مَضنَّةٌ لأبلجَ من أبناءِ عمىَ أروعا[4]
أبيتُ مُعنًّى من مخافة عتْبه وأصبحُ محزونا ، وأمسى مُروَّعا
فلمّا مضى عصرُ الشبيبة كُلُّهُ وفارقنى شرخُ الشباب فودّعا
تطلّبتُ بين العَتْب والهجْر فُرجةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ مُمنَّعا
وصرتُ إذا ما رُمت فى الخير لذةً تتبعتُها بين الهُموم تتبُّعا[5]
وها أنا قد حلَّى الزمانُ مفرقى وتوَّجنى بالشّيب تاجاً مُرصعا
فلو أنَّنى مُكِّنْتُ فيما أريدُه من العيش يوماً لم أجد فىَّ موضعا
أما ليلةٌ تمْضِى ولا بعضُ ليلة أُسرُّ بها هذا الفؤادَ الموجعا
أما صاحبٌ فرْدٌ يدومُ وفاؤُه فيُصْفى لمن أصْفَى ، ويَرعى لمن رَعى
أفى كلّ دار لى صديقٌ أوَدُّه إذا ما تفرَّقْنا حفظتُ وضيَّعا

---

(١) الغلواء : الغلو والمضياعة : الكثير الإضاعة والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكاناً غيره . يريد هل نسيتمانى واتخذتما بدلى حبيباً آخر ؟ .

(٣) أى أنى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

إذا خفتُ من أخوالى الروم خُطّةً ⁂ تخوّفتُ من أعمامى العُرْب أربعا

وإن أوجعتنى من أعادىَّ شيمةٌ ⁂ لقيتُ من الأحباب أدمى وأوجعا

ولَو قد رجوت الله لا ربَّ غيرُه ⁂ رجعتُ إلى أعلى ، وأمَّلتُ أوسعا(١)

لقد قنعوا بعدى من القطْر بالنَّدى ⁂ ومن لم يجد إلا القُنوع تقنَّعا(٢)

وما مرَّ إنسانٌ فأخْلف مثْلهُ ⁂ ولكن يُرجِّى الناسُ أمرا مُوقَّعا(٣)

تفكر سيفُ الدِّين لما عتبْتُهُ ⁂ وعرّض بى تحت الكلام وقرّعا

فقُولا له ، يا صادق الوُدّ إننى ⁂ جعلتُك ممّا رابنى منك مفزْعا

ولو أننى أكننْتُه فى جوانحى ⁂ لأورق ما بين الضلوع وفرّعا(٤)

فلا تغترر بالناس ، ما كلٌّ من ترى ⁂ أخوك ، إذا أوضعت فى الأمر أوضعا(٥)

ولا تتقلَّد ما يروقُ جمالُه ⁂ تقلَّد إذا جرَّبت ما كان أقطعا(٦)

ولا تقبلنَّ القول من كلِّ قائل ⁂ سأُرضيك مرأى لستُ أُرضيك مسمَعا

ولله إحسانٌ على ونعمةٌ ⁂ ولله صُنعٌ قد كفانى التّصنُّعا

أرانى طُرق المَكرُمات كما رأى ⁂ علىٌّ وأسمانى على كل من سعى(٧)

فإن يكُ بُطءٌ مرة فلطالما ⁂ تعجَّلُ بى نحو الجميل فأسرعا

---

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت إلى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢و٣) أى أن أهلى ونسوتى قنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وإنما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عند غيبتى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقه ، أى أنى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجلب كتمانه الحقد والعداوة . فالمسارعة بإظهار المؤاخذة أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراء سريعاً .

(٦) ولا تتقلد ما يروق الخ : أى لا تتقلد سيفاً جميل المنظر غير قاطع .

(٧) وصف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجْفُ في بعض الأمور فإنني ... لأشكره النُّعْمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ الناسَ بعدي فلم يَزَلْ ... بذاك البديل المُسْتجَدِّ مُمتَّعا(١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسر يعاتبه على تباطئه في فكاكه :

وأبطأَ عنِّي والمنايا سريعة ... وللموت ظُفْرٌ قد أطلّ ونابُ
فإن لم يكن وُدٌّ قريبٌ نعدُّهُ ... ولا نَسبٌ بين الرجال قُراب(٢)
فأحْوطُ للإسلام ألّا يُضيعني ... ولي عنه فيه حوْطَة ومناب(٣)
ولكنني راضٍ على كلّ حالةٍ ... لِعلَمَ أيُّ الحالتين صَواب ؟
وما زلتُ أرضى بالقليل محبةً ... لديْهِ ، وما دُون الكثير حجاب
وأطلُبُ إبقاءً على الوُدِّ أرْضهُ ... وذِكْري مُنًى في غيرها وطلاب(٤)
كذاك الودادُ المحض . لا يُرتجى له ... ثَوابٌ ، ولا يُخشى عليه عقاب
وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع ... وفي كلِّ يوم لُقْيةٌ وخطاب
فكيفَ وفيما بَيْنَنا مُلكُ قَيْصرٍ ... وللبحر حَوْلي زَخْرةٌ وعُبابُ
أمنْ بعد بَذْل النفس فيما تريدُه ... أُثابُ بمُرّ العتب حين أُثاب ؟
فليتَك تحلُو ، والحياةُ مَريرةٌ ... وليْتَك تَرْضَى والأنامُ غضاب
وليت الذي بَيْني وبَيْنَك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خَراب
إذا صحّ منك الوُدُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الذي فَوْق التُّراب تُراب

(١) أي وإن يستجد سيف الدولة قائداً ونصيراً آخر بعدي فإني أدعو له بأن يظل ممتعا
(٢) القراب : المقارب .
(٣) أي إذا لم ينقذني الود والنسب فلا أقل من أن يستنقذني للاسلام فإني أحوطه وأنوب عنه في الذود عنه .
(٤) أي أني أطلب أرضه إبقاء على ودّه وإلا فإن مجرّد ذكري في أرض غيرها هو منية أهلها وطلبتهم .

٣ — أبو العلاء المعرى (١)

قال فى الفخر :

أرى العنقاءَ تكبُرُ أن تُصادا ... فعانِدْ من تطيقُ له عنادَا (٢)
وما نَهْنَهْتُ عن طلب ، ولكن ... هى الأيام لا تُعطى قيادا (٣)
فلا تَلُمِ السوابقَ والمطايا ... إذا غرضٌ من الأغراض حادا (٤)
لعلك أن تُشنَّ بها مُغارا ... فتنجح أو تُجشِّمها طِرادا (٥)
مُقارعةً أحِجَّتَها العَوَالى ... مُجنَّبةً نواظرها الرُّقادا (٦)
تلومُ على تبلُّدها قلوبٌ ... تُكابِدُ من معيشتها جِهادا
إذا ما النَّارُ لم تُطعم ضِراماً ... فأوْشكْ أن تمُرّ بها رَمادا
فظُنَّ بسائر الإخوان شرًّا ... ولا تأمنْ على سرٍّ فُؤادا
فلو خبرتَهُمُ الجوزاءُ خُبْرى ... لما طلعت مَخافَةً أن تُكادا
تجنَّبْتُ الأنامَ ؛ فلا أواخى ... وزدتُ عن العدُوّ ؛ فلا أُعادَى

---

(١) أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبياً ، ثم على علماء حلب وأعالى الشام حتى صار علما فى الاشتهار ، ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علمائها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له بها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء فى الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيراً من الشبه فى عقيدته وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعراً كثيراً ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة .

(٢) العنقاء : طائر يعرف باسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، وللأولين فيه مزاعم شتى .

(٣) نهنهت : كففت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والإبل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة وموضع الشن : تفرقه به فى الحمل على الأعداء ومطاردتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

ولما أن تَجَهَّمنِى مُرادى   جَريْتُ مع الزمان كما أرادا[1]
وَهوَّنْتُ الخطوب علىّ حتى   كأنى صرتُ أمنحُها الودادا
أأُنكِرُها ومنبِتُها فؤادى   وكيف تنكَّرُ الأرضُ القَتادا ؟[2]
فأىّ الناس أجعلُه صديقا   وأىّ الأرض أسلُكه ارتيادا ؟
ولو أنَّ النجومَ لدَىَّ مالٌ   نَفَتْ كفَّاى أكثَرَها انتقادا
كأنِّى فى لسان الدهر لفظٌ   تضمّنَ منه أغراضاً بِعادا
يُكرِّرُنى ليفهمنى رجالٌ   كما كرّرتَ معنًى مُستعادا
ولو أنى حُبِيتُ الخُلدَ فَرْداً   لما أحْبَبْتُ بالخلد انفرادا
فلا هطَلَتْ علىّ ولا بأَرْضى   سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا[3]
وكم من طالبٍ أمدى سيلقَى   دُوَيْنَ مَكانِىَ السَّبْعَ الشِدادا[4]
يُؤَجِّجُ فى شُعاع الشمس نارا   ويقدَحُ فى تلهُّبها زِنادا[5]
ويطعَنُ فى عُلاى ، وإن شِسْعى   ليأنَفُ أن يكونَ له نِجادا[6]

---

(١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .

(٢) القتاد : نوع من الشوك .

(٣) تنتظم : تعم .

(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أى : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلتى .

(٥) أى أن من يسابقنى ويبارينى فى المجد لا يدركنى ، بل يكون مثله كمثل من يؤجج ناراً يكيد بها الشمس .

(٦) شسع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لى مودَّتَه مقالًا ويُبغضُنى ضميراً واعتقادا
فلا وأبيكَ ما أخشى انتقاصاً ولا وأبيك ما أرجو ازديادا !
لىَ الشرفُ الذى يطأُ الثُّريَّا مع الفضل الذى بَهَر العبادا
وكم عينٍ تُؤَمّل أن ترانى وتَفقدَ عند رُؤيتى السَّوادا[1]
ولو ملأَ السُّها عينيه منِّى أبرّ على مدَى زُحَلٍ وزادا[2]
أفُلّ نوائب الأيام وَحدى إذا جمعَتْ كتائبهَا احتشادا[3]
وقد أثبتُّ رجْلِى فى ركاب جعلتُ من الزِّماع له بِدادا[4]
إذا أوطأْتُها قَدَمَىْ سُهيْلٍ فلا سُقِيتْ خُناصرةُ العهادا[5]
كأنّ ظِماءهن بَناتُ نَعْش يرِدْنَ إذا وردن بنا الثِّمادا[6]

---

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقته ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتتحرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر فى الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهزمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت مساء اليمن فلا أبالى مايصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثماد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبى العطاش حين ترد هذه الثماد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

ستعجَبُ من تَغَشْمُرها ليالٍ تُباريِنا كواكبُها سُهادا[1]
كأنّ فِجاجها فقَدَتْ حَبيباً فصيَّرت الظلامَ لها حدادا
وقد كتَبَ الضَّريبُ بها سُطوراً فخلتُ الأرض لابسةً بجادا[2]
كأنّ الزِّبْرقان بها أسيرٌ تُجُنِّب لا يُفكُّ ولا يُفادَى[3]
وبعضُ الظاعنين كقَرْن شمْس يغيبُ فإن أضاء الفجرُ عادا
ولكنّ الشَّباب إذا تولَّى فجهلٌ أن تروم له ارتدادا
وأحسبُ أنّ قلبي لو عصاني فعاوَد ما وجدتُ له افتقادا

وقال يصف ديكا :

أيا « ديكُ » عدَّت من أياديك[5] صَيحة بعثت بها مَيْت الكرى وهو نائم
هتَفْتَ فقال الناسُ « أوسُ بن مغيَر »[6] أو ابنُ « رَباحٍ »[7] بالمحلة قائمُ
وفيك إذا ما ضيَّع النِّكس[8] غَيْرةٌ[9] تُصانُ بها المستَصْحَباتُ الكرائم[10]

---

(١) التغشمر : التعسف .
(٢) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .
(٣) الزبرقان : القمر ، أى كأن القمر أسير فى هذه الأرض ، فليس له من فكاك ، فتطلع الشمس .
(٤) افتقاد الشيء : أن تطلبه فى غيبته ، أى لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .
(٥) الأيادى النعم .
(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .
(٧) هو بلال الذى كان يؤذن للنبي عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن فى الإسلام
(٨) الضعيف الدنىء . (٩) الغيرة : الحمية والشجاعة .
(١٠) المستصحبات الكرائم ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج

يُزانُ لديْك الطَّعنُ في حوْمة[1] الوغى[2] إذا زُيِّنت للعــاجزين المزائمُ
عليْك ثياب خاطها اللهُ قادر بهــا رئِمْتك[3] العاطفاتُ الرَّوائم
وتاجُك مَعْقُودٌ ، كأنَّك « هُرْمُز »[4] يُبَاهى[5] به أملاكه[6] ويُوائمُ[7]

وقال في وصف ليلة :

لَيْلتى هذه عَرُوسٌ من الزَّنْـــج[8] عليها قلائدٌ من جُمان[9]
هرَبَ النومُ عن جُفُونِىَ فيهـا هَرَبَ الأمْن عنْ فؤاد الجبان
وكأنَّ الهِلالَ يهوَى الثريّا[10] فهُمَــا للوَدَاع مُعتنقــان
وَسُهيْلٌ كوجنة الحبِّ[11] في اللوْ نِ وقَلْب المحبِّ في الخفقان
يسرعُ اللّمْح في احمرارٍ كما تُســـرعُ في اللّمح مُقْلَة الغَضْبَان
ضرَّجته[12] دما سيوف الأعادى فبكــت رحمة له الشعريان[13]
ثم شاب الدُّجى وَخَافَ من الهجْـــر فغطى المشيبَ بالزعْفَران
ونضا[1] فجره على نَسْره[15] الوا قع سَيْفاً فَهمَّ بالطَّيَران

---

(١) ميدان (٢) الحرب . (٣) عطفت عليك .
(٤) الكبير من ملوك العجم . (٥) يفاخر . (٦) ملوكه .
(٧) يوافق . أي يماثل الملوك في لبسهم التيجان .
(٨) جبل من السودان . (٩) اللؤلؤ (١٠) نجم في السماء .
(١١) سهيل : نجم . والحب . والحبيب .
(١٢) لطخته .
(١٣) نجمان .
(١٤) جرد .
(١٥) أحد النجوم

وقال من قصيدة يرثى بها فقيها حنفياً ، وهى فى ديوانه « سقط الزند » :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلَّتى واعتقادى ... نَوْحُ باكٍ ، ولا تَرَنُّمُ شادِ (١)
وشبيهٌ صوتُ النعِىِّ إذا قيـ ... سَ بصوت البشير فى كل نادِ
أَبَكَتْ تلكمُ الحمامةُ أم غَنَّـ ... تْ على فَرْعِ غُصنِها المَيَّاد
صاحِ : هذى قبورُنا تملأ الرَّحْـ ... بَ فأَيْنَ القُبورُ من عَهْد عاد؟
خفِّفِ الوطْء ما أظُنُّ أديم الْـ ... أرْضِ إلامن هذه الأجساد (٢)
وقبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العهـ ... ـدُ هوانُ الآباءِ والأجداد
سرْ إن استطَعْت فى الهواءِ رُوَيْدًا ... لا اختيالًا علىَ رُفات العباد
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفَيْن ... فى طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرْقَدَيْن عَمَّن أحسَّا ... من قبيلٍ وآنسا من بِلاد (٣)
كم أقاما على زوال نهارٍ ... وأنارا لِمُدْلِجٍ فى سَواد (٤)

---

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . القبيل : الجماعة وأنس الشيء أبصره .

(٤) المدلج : السارى فى الليل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأفول ، فهما مضيئان ثابتان إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبٌ كلها الحياة فما أَعْ   جَبُ إلا من راغب فى ازدياد
إنّ حُزْناً فى ساعة الموت أضعا   فُ سرورٍ فى ساعة الميلاد
خُلِق الناسُ للبقاء فضلّت   أُمّة يحسبونهم للنفاد
إنما يُنقلون من دار أعما   لٍ إلى دار شقوة أو رشاد
ضَجْعَةُ الموت رقدةٌ يستريح الـ   جسم فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد

وقال يفتخر :

ألاَ فى سبيل المجد ما أنا فاعلُ ،   عَفافٌ ، و إقدامٌ ، وحَزْمٌ ، ونائلُ
أعندى ، وقد مارستُ كلّ خفيّةٍ   يُصدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سائل ؟
أقلُّ صُدودى أننى لك مُبْغِضٌ   وأيسَرُ هجرى أننى عنكَ راحل (١)
إذا هبّت النَّكْباء بينى و بينكم   فأهونُ شىء ما تقولُ العواذل (٢)
تُعدُّ ذُنوبى عند قومٍ كثيرة   ولا ذنب لى إلا العلا والفضائل
كأنّى إذا طلتُ الزمان وأهلَه   رجعت وعندى للأنامِ طوائل (٣)
وقد سار ذكرى فى البلاد ؛ فمن لهم   بإخفاء شمس ضوؤها متكامل ؟
يُهِمُّ اللّيالى بَعضُ ما أنا مُضمِرٌ   وَيُثْقِلُ رَضوى دونَ ما أنا حامل (٤)
وإنّى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه   لآت بما لم تستطعْهُ الأوائلُ

(١) يخاطب لائمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبى ريحين . أى إذا بعدت عنكم ، وأصبح بينى وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالى بقول العواذل .

(٣) طلت فقت وسموت . والطوائل : الترات ، أى كأن لهم ثأرا عندى يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وأغدُو ولو أن الصباح صوارمٌ ... وأسْرِى ؛ ولو أنَّ الظلامَ جَحافل[1]

وإنى جوادٌ لم يُحَلَّ لجامُه ... ونِضْوُ يَمَانٍ أغفلَتْه الصَّياقل[2]

وإن كان فى لُبس الفتى شرفٌ له ... فما السيفُ إلا غمدُه والحمائل

ولى مَنْطِقٌ لم يرضَ لى كُنهَ منزلى ... على أننى بَيْن السِّماكَيْن نازل.[3]

لدى مَوْطنٍ يشتاقُه كلُّ سيِّدٍ ... ويقصُر عن إدراكه المتناولُ

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلتُ حتى قيلَ : إنى جَاهل

فواعجبا ! كم يدَّعِى الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسفا ! كم يُظْهر النقصَ فاضلُ

وكيف تنامُ الطيرُ فى وُكُناتِها ... وقد نُصِبَتْ للفرقدَيْن الحبائل[4]

يُنافسُ يومى فىَّ أمسى تشرُّفاً ... وتَحسُد أسْحارى علىّ الأصائل

وطال اعترافى بالزمان وصَرْفه ... فلستُ أُبالى مَن تَغُولُ الغوائل

فلو بان عَضْدى ما تأسَّف مَنْكِبى ... ولو مات زَنْدى ما بكَتْه الأنامل[5]

إذا وَصف الطائىَّ بالبخلِ مادرٌ ... وعَيَّر قُسًّا بالفهَاهة باقل[6]

وقال السها للشمس : أنتِ خفيةٌ ... وقال الدُّجى : ياصُبحُ لونُك حائل[7]

---

(١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم وغدا : سار فى الصباح وسرى : سار فى الليل .

(٢) نضو يمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصدأه .

(٣) السماكان : الرامح والأعزل نجمان فى السماء .

(٤) الوكنات : جمع وكنة ، وهى موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلى فى فضله وعلوه الذى يشبه بعلو النجوم فى السماء . يكيد له الناس ولايتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكايد من يقل عنى ، وليس له منعتى ومتى نال الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه .

(٥) بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف .

(٦) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة : أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل يضرب به المثل فى العى .

(٧) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

وطاوَلَتِ الأرضُ السماءَ سَفاهةً ... وفاخَرَتِ الشُّهبَ الحصَى والجنادلُ
فيا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَميمةٌ ... ويا نفسُ جِدِّى إن دهرَكِ هازل
إذا أَنْتَ أُعطيتَ السَّعادَةَ لم تُبَلْ ... وإن نَظَرَتْ شَزْراً إليكَ القبائلُ[(١)]
فإن كنتَ تبغِى العزَّ فابغِ توسُّطا ... فعنـدَ التَّناهى يقصُر المتطاول
تُوَقَى البُدورُ النقصَ وهى أَهلةٌ ... ويُدرِكُها النقصانُ وهى كوامل

وقال فى ديوانه « لزوم ما يلزم » ؛ وهى قصـيدة تتضمن كثيراً من خاص آرائه :

غدوتَ مريضَ العَقْل والدِّينِ فالْقَنِى ... لِتسمَعَ أنباءَ الامور الصحائِح
فلا تأكلنْ ما أخرجَ الماءُ ظالماً ... ولا تَبْغِ قُوتاً من غَريض الذبائح[(٢)]
وَأَبْيَضَ أُمَّاتٍ أرادتْ صريحَهُ ... لأَطفالها دونَ الغَوانِى الصرائح[(٣)]
ولا تَفْجَعَنَّ الطيرَ وهى غوافل ... بمـا وَضَعَت فالظلمُ شَرُّ القبائح
ودع ضَرَبَ النَّحْل الذى بَكَرتْ لَهُ ... كواسبَ من أزهار نبتٍ فَوائِح[(٤)]
فما أحرزتْه كى يكونَ لغيرها ... ولا جَمَعَتْه للنَّدَى والمنـائح[(٥)]
مَسحْتُ يَدِى من كل هذا فَلَيْتَنِى ... أبهْتُ لشأنى قبل شَيْب المسائح[(٦)]

---

(١) لم تبل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر الشزر ، نظر بمؤخر العين غضبا .
(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لا تأكل السمك ونحوه ولاذبائح الدواب .
(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان : والأخرى للناس . والغوانى الصرائح : الخالصات الحسن .
(٤) الضرب : العسل
(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح جمع منيحة ، وهى ما تعطى فضلا وتكرما .
(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذرابة الشعر .

بَنِي زَمني هل تعلمون سرائراً علمت ، ولكنّي بها غيرُ بائح
سريتُمْ على غيٍّ ؛ فهلا اهتديتُم بما خبَّرتكم صافياتُ القرائح
وصاحَ بكم داعي الضلال ، فمالكم أجبتم على ما خيَّلتْ كلَّ صائح ؟[1]

***

فإن ترْشُدوا لا تخضبوا السيفَ من دمٍ ولا تُلزِموا الأميالَ سَبْرَ الجرائح[2]
ويُعجِبُني دأبُ الذين ترهَّبوا سوى أكْلِهم كدَّ النفوس الشحائح
وأطْيبُ منهم مطعَماً في حياته سُعاةُ حلالٍ بيْن غادٍ ورائح
فما حَبَسَ النفسَ المسيحُ تعبُّدا ولكن مشى في الأرض مشيةَ سائح
يُغيِّبُني في التُّرْب مَنْ هو كارهٌ – إذا لم يُغيِّبْني – كريهُ الروائح[3]
ومن يتوقى أن يُجاور أعظُماً كأعْظُم تلك الهالكات الطرائح
ومن شرِّ أخلاق الأنيس وفعلِهمْ خُوارُ النَّواعِي والْتِدامُ النوائح[4]
وأصفَحُ عن ذَنب الصديق وغيره لسكناي بيْت الحق بين الصفائح[5]
وأزهدُ في مَدْح الفتى عند صدقه فكيف قبولي كاذبات المدائح

---

(١) على ما خيلت : أي كما اتفق دون إمعان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشيء : امتحانه واختباره . ينهى على الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أي إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقني فأموت ، فإني لابد ميت بانقضاء أجلي المحتوم ، ويومئذ يدفنني من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعي : جمع ناعية . والتدام النوائح : ضربهن صدورهن في النياحة . والأنيس يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفسُ اللجوجُ مطيّةً إلى أن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح[١]
وما يَنفعُ الإنسانَ أنّ غَمائماً تسُحُّ عليه تحت إحدى الضرائح[٢]
ولو كان فى قُرْبٍ من المـاء رغبةٌ لنافَسَ ناسٌ فى قُبور البطائح[٣]

وقال فى ديوانه « لزوم مالا يلزم » يصف الحياة الدنيا :

أصاحِ : هى الدُّنيا تُشابه ميْتةً ونحنُ حواليها الـكلابُ النوابحُ
فمَنْ ظلّ منها آكلا فهو خاسِرٌ ومن عَاد عَنْها سَاغباً فَهْو رابح[٤]
ومَنْ لم تُبيِّتْهُ الخطُوبُ فإنّه سَيَصْبَحُهُ من حَادث الدهر صابح[٥]

وقال فى هذا المعنى :

دنياكَ دارٌ إنْ يَكن شُهّادها عقلاءَ لم يبكُوا على غُيَّابها
قد أظهرت نُوَباً تَزيدُ على الحَصَى عدَداً وكَمْ فى ضِبْنها وعيابها[٦]
تفريهم بسـيوفها وتكبُّهم برمَاحها وتنالُهُمْ بصـيَابها[٧]
ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريبو الحال من خُيَّابها

(١) الرذايا . جمع رذية ، وهى الضعيفة المهزيلة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .

(٢) ينـكر على الناس دعاءهم للموتى بالسقيا .

(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .

(٤) الساغب : الجائع .

(٥) بيته : فاجأه ليلا ، أى : إذا تركته المصائب ليلا لم تتركه نهارا ، فلا مفر منها .

(٦) الضبن : مابين الـكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وطواياها نوائب تزيد على ما أظهرت .

(٧) تفريهم : تشقهم وتقطعهم ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضاً :

قد فاضت الدُّنيا بأدناسها على بَرَاياها وأجْناسها
وكلُّ حَيٍّ فوقَها ظَالمٌ وما بها أظْلمُ من ناسِهَا

وقال فى الحكمة :

نَهانى عقْـلى عن أمورٍ كثيرةٍ وطبعى إليها بالغَريزَة جاذب
ومِمَّا أدامَ الرُّزْءَ تـكذِيبُ صادقٍ على خُبرةٍ منَّا، وتصديقُ كاذب !

وقال أيضاً :

ضَحِكْنا وكان الضِّحْكُ منَّا سفَاهَةً وحُقَّ لِسُكَّان البريَّة أن يَبْـكوا
يُحطِّمنا ريب الزمان كأننَا زُجاجٌ، ولـكن لا يُعاد له سبك

وقال يصف التدين الـكاذب :

سبِّح ، وصلِّ ، وطُفْ بمكة زائراً سبْعين لا سبْعاً فَلسْتَ بناسِك
جهلَ الدِّيانَة منْ إذا عَرضَتْ له أطْماعُهُ لم يُلفَ بالْمُتماسك(١)

وقال فى انطباع الناس على الشر :

لو يفهمُ الناسُ ، لو أبْناؤهُم جُلِبوا و بيعَ بالْفَلْس ألفٌ منهُمُ كَسَدوا(٢)
فويْحَهُمْ بئس ما ربَّوْا وَماحضَنُوا فهى الخديعَةُ والأضغانُ والحَسدُ
وَهكذا كانأهلُ الأرضِمُذْ فُطروا فَلاَ يظنَّ جهُولُ أنهُم فَسدُوا

---

(١) أى : ليس كل العبادة أن تصلى وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتمم بإمساك النفس من أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

وقال فى مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرْأَى لِبَنِى آدَم   وكُلُّهُمْ فى الذّوقِ لا يَعْذُبُ
ما فيهمُ بَرٌّ ولا نَاسِكٌ   إلَّا إلى نَفْعٍ له يُجْذَبُ
أفضلُ منْ أفْضَلِهم صَخْرةٌ   لا تَظْلِم الناس ولا تَكْذِبُ

٤ — كشاجم (١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الحمدُ لله نال الناسُ حظَّهمُ   واخطأتْنِي مع استحقاقِها الرُّتَبُ
وعاقَنى عن طلابِها أُصيْبِيَةٌ   يأْبَى فراقَهمُ الإشفاقُ وَالحَدَبُ (٢)
ولى قَوادمُ لو أنِّى حذفتُ بها   لأنهضتْنِى ، ولكنْ أفرُخى زُغَبُ (٣)
وما التعجُّبُ لو أنى ظَفرتُ بها   بل فى تنكُّبِها اللأْواءُ ، يا عَجَبُ ! (٤)
فإن يكن أدبٌ من رُتبةٍ عوضاً   فقد قضَى ما عليه العلمُ والأدب

وقال يهجو عوّاده :

جاءت بعُودٍ مثلها ناقرٍ   كأنَّه نَقْنَقَةُ الضفدع
مُضطربُ الأوتار منقوضُها   مستقبحُ المَدْفعِ والمَقْطَعِ (٥)
يودُّ من يسمَعُ أصواتَه   لو فقدَ السَّمْعَ ؛ فلَمْ يَسْمَعِ
وأقبلتْ تَضرِبُ غَيْرَ الذى   نَسْمَعُ ، والنَّغْمةَ لم تُتْبِعِ (٦)
كأنّما نسمةٌ تأليفها   مُثلَّثٌ مختلِفُ الأضلعِ (٧)

---

(١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافى الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وكان من خدام سيف الدولة .

(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبي .

(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أزغب ، وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذى ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءه الصغار .

(٤) اللأواء : الشدة .

(٥) أى الضرب فى ابتدائه وفى انتهائه .

(٦) أى تخلط نغمة بأخرى .

(٧) أى أن حركة يدها بنقل الأوتار لاتنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نغمة واحدة .

وقال يتغزل .

جَعلتُ إليكِ الهوَى شفيعاً ، فلم تَشفعى
وناديتُ مستعطفاً رضاكِ ، فلم تَسمعى
أتاركتى مُدْنفاً أخا جسَدٍ مُوجع
ومغتربتى والدُّمو عُ قد أحرقتْ مَدْمَعى [1]
أحينَ سلَبْت الفؤا دَ بالنَّظَر المطمع
جَفوْت وأقصيتنى فهلاَّ وقلبى معى ؟

٥ — أبو الفرج الببغاء [2]

قال يصف كَتيبةً وقائدها :

ومَوْشيةٍ بالبيض والزَّغْف والقَنا مُحيَّرَةَ الأعطاف بالضُّمَّر القبِّ [3]
بعيدة ما بَيْنَ الجناحَيْن فى السُّرى قريبة ما بين الكَميّين فى الضَّرب
من السالبات الشمسَ ثوبَ ضيائها بثوْبٍ تولَّى نَسجَه عِثْيَرُ التُّرب [4]
يُعاتِب نشوانُ الثقنا صابى الظبا إذا التقيا فيها ، على قِلَّة الشُّرب [5]

---

(١) المدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر المخزومى المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح فى أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودرع زغف أيضاً . شبه الكتيبة وما فى وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى محبر الحوافى .

(٤) العثير : الغبار .

(٥) أى تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهما .

أعادت علينا الليلَ بالنقْع فى الضحى ... وردّت علينا الصُّبحَ فى الليل بالشُّهْب

تبلّجُ عن شمسَىْ نزارٍ ويعرُبٍ ... وتفترُّ عن طَودَىْ عُلا تَغلِبَ الغُلْب (١)

مُوَقَّرةً يقتادُ ثِنْىَ زمامها ... بصيرٌ بأدواء الكريهة فى الحرب

أصح اعتزاماً من خَؤونٍ على قِلًى ... وأنفذُ حُكماً من غرامٍ على صَبِّ

٦ عبد المحسن الصورى (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وأخٍ مسّه نُزُولى بقرحٍ ... مثلما مسّنى من الجوع قَرْحُ

قيل لى : إنه جوادٌ كريمٌ ... والفتى يعتريه بُخْلٌ وَشُحُّ

بتُّ ضَيْفاً له كما حكم الدهـ ... ـرُ ، وفى حُكْمه على الحرّ قُبح

قالَ لى إذ نزلْتُ ، وهو من السكـ ... ـرة والهمّ طافحٌ ليس يصحو :

لِمَ تغرّبْتَ ؟ قُلتُ : قال رسول اللـ ... ـه ، والقول منه نُصْح ونُجحُ

سافرُوا تغنَمُوا . فقال : وقد قا ... ل تمام الحديث : صُوموا تصحُّوا ؟

وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء :

رأيتُ ما لم يَره راءٍ ... ماءً غدا يَسبَحُ فى ماءِ

أومأْتُ باللحظ إلى جسّمه ... فكاد أن يُدْميه إيمائى

---

(١) أى اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العرب ، وتغلب وهى قبيلة سيف الدولة وتسمى تغلب الغلباء لشجاعتها ، ويجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

٧ – تميم بن المعز الفاطمى العُبَيْدى (١)

قال يصف فوّارة فى بستان :

وقاذفةٍ بالماء فى وَسْط بِرْكَةٍ　　قد اُلتحفَتْ ظلا من الأَيْك سَجْسَجا (٢)
إذا انبثقت بالماء سَلّته مُنْصُلا　　وَعَادَ عَلَيْها ذلك النَّصْلُ هَوْدَجا (٣)
تُحاولُ إدراكَ النُّجوم بِقَذْفِها　　كأن لها قلباً على الجوّ مُحْرَجا

وقال أيضاً فى الفخر :

ألقى الكَمِىَّ فلا أخافُ لِقاءه　　ويفُلُّ إقدامى شَبَا الحَدَثان (٤)
وأكُرُّ فى صَدْر الخَميس مُعانقاً　　الموت حينَ يفرُّ كلُّ جَبان (٥)
ويزيدنى كَلُّ الخطوب تعَظُّماً　　وتسلُّطُ الأيامِ عزَّ مكان
وعلمتُ أخلاقَ الزمان فلم أضق　　ذَرْعا بأيامى وغَدْرِ زمانى
وكما يَمَلُّ الدَّهْرُ من إعطائه　　فكذا مَلالتُه منَ الحرمان
وكما يَمُرُّ لَمعْشَرٍ بِسعادةٍ　　فكذا يكُرّ لمعْشَرٍ بهوَان
فإذا رماك بِشدَّة فاُصبِرْ لها　　فلسوف يأتى بعدها بلَيان (٦)
وسَلِ الليالىَ عَنْ نفاذ عزيمتى　　وسلِ الحوادثَ عن ثَبات جَنانى
تخبرك عَنى أنّنى لم ألْقَها　　بين العَزائم وَاهنَ الأركان
أصبحتُ لا أشتاق إلا للنَّدى　　أبداً ولا أهوى سِوَى الإحسان
وإذا السيوفُ قَطَعْنَ كُلَّ ضَريبةٍ　　قطَع السيوف القاطعات لسانى (٧)

---

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة لم يكن ولى عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان فى الفاطميين كابن المعتز فى بنى العباس توفى سنة ٣٧٤ ﻫ .　(٢) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمى : الشجاع المقاتل . والشبا جمع شباة : وهى : الحد .

(٥) الخميس : الجيش .　(٦) الليان : اللين والرخاء .

(٧) الضريبة : المضروب .

وقال فى الغزل :

شبّهتها بالبدر فاستضحكتْ وقابلتْ قوْلِىَ بالنُّكْر
وسفّهتْ قوْلى ؛ وقالت : متى سَمُجْتُ؟حتى صرت كالبدر !
والبدرُ لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا يبْسِمُ عن ثغْر
ولا يُميطُ المرط عَن ناهدٍ ولا يَشُدُّ العقدَ فى نَحْرْ(١)
من قَاس بالبدر صِفَاتى فلا زَال أسيراً فى يدَى هجْرى !

٨ — أبو الحسن التهامى(٢)

قال يرثى ابناً له مات صغيراً :

حُكْمُ المنيّة فى البَرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بيْنا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبراً حتى يرى خبَراً من الأخبار
طُبعت على كَدرٍ،وأنت تريدُها صفْواً من الأقذار والأكْدار
ومكلِّفُ الأيَّام ضدَّ طباعها مُتطلبٌ فى الماء جذْوةَ نار
فإذا رجوْتَ المستحيل فإنما تَبْنِى الرجاءَ على شفير هار(٣)

---

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزاراً .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوساً إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاره .

(٣) الشفير : حافة الشىء وطرفه . وهار : منهار ، أى فإنما تبنى الرجاء على حافة كثيب منهار ، فلا يستقر بناء ، أى لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نومٌ والمَنِيةُ يَقظةٌ والمـــرء بينهما خيـــالٌ سار
والنفسُ إن رضيتْ بذلك أو أبتْ مُنقـــادةٌ بأَزِمّـــة المقْـــدار(١)
فاقضُـــوا مآربكم عجـــالًا إنمـا أعمارُكم سَـــفرٌ من الأسـفار
وتراكضُوا خَيلَ الشّباب ، وحاذروا أن تسْـتَرِدّ فإنّهُن عـوار(٢)
فالدهرُ يَخدَع بالمُـنَى ، ويغُصُّ إن هَنى ، ويهـدم ما بَنَى ببـوار(٣)
ليس الزمانُ وإن حرَصْتَ مُسالمـا خُلُقُ الزمان عداوةُ الأَحْرار

* * *

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمرُ كواكب الأسحار(٤)
وهـلال أيام مضى لم يسـتدرْ بدراً ، ولم يُمْـهَـلْ لوقت سرار(٥)
عجل الخسوفُ عليه قبل أوانه فمحـاه قبـل مظنّـة الإبدار
واستُلّ من أترابه وَلِداته كالمقلة استلّت من الأشفار(٦)
فكأن قلبى قـبرُه ، وكأنه فى طَيِّـه سرٌّ من الأسرار
إن يُحْتَقَرْ صِغَرًا فرُبّ مُفَخّم يبـدُو ضئيل الشخص للنُّظـار
إنّ الـكواكِبَ فى عُلُوّ مَحَلّها لتُرى صغاراً وهى غيرُ صغار

---

(١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .

(٢) وتراكضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .

(٣) أغصه : أذاقه الغصة ، وهى الهوان والحزن .

(٤) الـكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السـنة وكعطارد كذلك قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسخها ضوؤها .

(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر . هى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .

(٦) الأتراب واللدات : من يولدن فى زمن واحد .

وَلَدُ المُعزَّى بَعْضه ؛ فإذا انقضَى ... بعضُ الفَتى فالكلّ فى الآثار
أبكيه ، ثم أقولُ معتذراً له : ... وُفِّقت حين تركتَ ألأمَ دار
جاورتُ أعدائى ، وجاوَر ربّه ... شَتَّان بَيْنَ جِواره وجِوارى
أشكو بعادَك لِي ، وأنت بمَوْضع ... لولا الرّدى لسَمعتَ فيه سرارى (١)
والشرق نحو الغرب أقرب شُقّةً ... من بُعد تلك الخَمْسة الأشبار (٢)
هيهات قد علِقَتْك أشراكُ الردى ... واعتاقَ عمرك عائقُ الأعمار
ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية ... فبلَغْتها وأبُوك فى المضمار
فإذا نطقتُ فأنت أوّل منطقى ... وإذا سكتُّ فأنت فى إضمارى
أُخفى من البُرحاء ناراً مثلما ... يُخْفى من النار الزِّنادُ الوارى (٣)
وأُخفّض الزّفرات ، وهى صواعدٌ ... وأُكَفْكفُ العبَرات ، وهى جوار
وشهابُ زَند الحُزْن إن طاوعتَه ... وَارٍ ، وإن عاصَيْتَه متوار (٤)
وأكُفُّ نيران الاسى ، ولربما ... غُلِب التصبُّرُ ، فارتمت بشَرار
ثوبُ الرياءِ يشفُّ عمّا تحته ... فإذا التحفت به فإنك عار

---

(١) السرار : المسارة ، أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتاً ، فهو فى قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكاناً نائياً .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

٩ — على بن النعمان(١)

قال فى وصف صديق :

صديقٌ لى لَهُ أدبُ   صداقةُ مثله نَسبُ
رعَى لى فوق ما يُرعَى   وأوجب فوق ما يجِبُ
فلَوْ نقُدتْ خلائقُه   لَبُهْرِج عندها الذّهبُ

١٠ — أبو الحسن على بن عبد الرحمن(٢)

قال فى الهجاء :

وذى حِرْصٍ تَراهُ يَلُمُّ وَفْرًا   لوارثه ، ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ(٣)
ككلب الصيد: يُمسك وهُو طاوٍ   فريستَه ليأكلَها سواهُ(٤)

١١ — الحسنُ بنُ الزُّبَيْر الأسوانى(٥)

قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام :

باللهِ يا ريح الشما   لِ إذا اشتملت الرَّوْح بُرْدا(٦)
وحَملت من نَشْر الخزا   مَى فاغتدى للنَّدِّ نِدا(٧)
ونَسجت ما بَيْن الغُصُو   ن ، إذا اعتنقْنَ هوًى وَوُدَّا

(١) هو القاضى أبو الحسن على بن النعمان ، قاضى العزيز الفاطمى ، توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكيى المصريين زمن الفاطميين ، توفى سنة ٣٩٩ هـ .

(٣) الوفر : المال الكثير .   (٤) طاو : جوعان .

(٥) هو القاضى المهذب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء فى دولة الفواطم المصريين ، توفى سنة ٥٦١ هـ .   (٦) الروح : النسيم .

(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والند : نبت طيب الرائحة .

وهززتِ عِنْد الصُّبح من | أجيادها للزَّهر عقْدا
فملأتِ صفْحةَ وجهه | حتى أُكتسى آساً ووَرْدا
فكأنما ألَّفت فيـ | ـه منهما صُدْغاً وخَدّا :
مُرِّى على بَردى ، عسا | هُ يَزيد فى مسراكِ بُردًا(١)
نهرٌ كنَصل السيْف تَكْـ | ـسو مَتْنَهُ الأزهارُ غمْدا
صقلتْهُ أنفاسُ النسيـ | ـم بمرِّهنَّ ، فليس يصدا(٢)
أحبابنا ما بالكم | فينا من الأعداء أعدىٰ
وحياة حُبِّكمُ ، بِتُرْ | بَة وصلِكم ما خُنت عهْدا(٣)

١٢ — ابن الفارض(٤)

قال من قصيدة :

أبق لى مقلَةً لعَلِّى يوماً | قبل موْتى أرى بها من رآكا
أين منّى مارمتُ؟ هيهات! بل أيـ | ـن لعيْنِى باللحظ لثم ثراكا
وبشيرى لو جاءَ منك بعطف | ووُجُودى فى قَبْضَتى قُلت هاكا

---

(١) البرد بضم الراء : جمع بِريد ، وهى مسافة كل منزلة لخيل البريد ، وسكن الراء للشعر .

(٢) يصدا : يصدأ . وخفف الهمزة لضرورة القافية .

(٣) أقسم أولا بحياة حبه لمعشوقه ، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له ، أى أنه لما لم يواصله صار حكم الوصل كالميت المدفون فى قبر ، فهو يحلف به إجلالا .

(٤) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة ، وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من حماة . توفى سنة ٦٣٢ ﻫ .

قد كفى ما جرى دماً من جفونٍ ۝ لى قرحَى ! فهل جرى ما كفاكا
فأجرْ من قِلاكَ فيكَ مُعنًّى ۝ قبل أن يُعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بِذِلَّتى بخضوعى ۝ بافتقارى بفاقتى لغناكا
لا تَكِلْنى إلى قوى جلَدٍ خا ۝ نَ ؛ فإنى أصبحتُ من ضُعفاكا
كنت تجفو ، وكان لى بعضُ صبْر ۝ أحسن اللهُ فى اصطبارى عزاكا !
كم صُدودٍ عساكَ ترحمُ شكوا ۝ ى ، ولو باستماع قولى : عساكا !
شنَّعَ الْمُرْجِفُون عنك بهجرى ۝ وأشاعوا أنى سلَوْتُ هواكا
ما بِأَحْشائهم عشقتُ ، فأسلُو ۝ عنك يوماً . دعْ يهجروا ! حاشاكا(١)
كيف أَسلو ؟ ومقلتى كلما لا ۝ ح بريقٌ تلَفَّتتْ للقاكا
كلٌّ من فى حماك يهواك لكن ۝ أنا وَحْدى بكل من فى حماكا

١٣ — عمارة اليمنى (٢)

قال من قصيدة يصف فيها داراً :

أنشأت فيها للعيون بدائعاً ۝ دقت فأذهل حسنُها من أبصرا
فمن الرخام : مُسيَّرًا وَمُسهَّمًا ۝ ومُنَمْنَماً وَمُدرْهَمًا ومُدنرا(٣)

---

(١) يهجروا : يقولوا باطلا وقبيحاً من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكمى ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدباً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبى ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكايد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنمنم : المزخرف . والمسهم والمدرهم والمدنر : مافيه صور السهام والدراهم والدنانير .

وسقَيْت من ذَوْب النُّضار سُقُوفَها حتى يَكادُ نُضارُها أن يَقْطُرا[١]
لم يبْقَ نوعٌ صامتٌ أو ناطق إلا غدا فيها الجميعُ مُصوَّرا
فيها حدائقُ لم تَجُدْها ديمة : كلا ولا نبتت على وجه الثّرى[٢]
لم يبدُ فيها الروْضُ إلا مُزْهراً والنخلُ والرُّمّانُ إلا مُثمرا
والطيرُ مذ وقعت على أغصانها وثمارها لم تستطع أن تَنقُرا
وبها من الحيوان كلُّ مُشبَّهٍ لِبسَ الحرير العبقرىَّ مُصوّرا
لا تعدم الأبصارُ بَيْنَ مُرُوجها ليثاً ولا ظَبْياً بوجرة أعفرا[٣]
أنِستْ نوافرُ وحشها لسباعها فظباؤها لا تتّقى أُسد الشّرى[٤]
وكأن صولَتَكَ المخيفةَ أمّنت أسرابها ألاّ تخاف فتُذْعرا
وبها زَرافاتٌ كأن رقابها فى الطول ألوية توُّم المسكرا
نوبيةُ المنشا تُريك من المها روْقاً ، ومن بُزْل المهارى مشفرا[٥]
جُبِلَت على الإقعاء من أعجازها فتخالها فى التِّيه تمشى القهقرى

---

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من الظباء وغيرها .

(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن والمهارى : جمع مهرية وهى الناقة المنسوبة إلى بلاد مهرة شرقى حضرموت أى أنها أشبهت بقر الوحش فى القرون ، وأشبهت الإبل فى المشافر .

١٤ — القاضى الفاضل (١)

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعانى مفتخراً :

قضَى نَحْبَه الصوْمُ بعد المطال   وأُطلق من قَيْد فتر الهِلال (٢)
وروّض كاتب جنْبى اليمينِ   وأتعب كاتب جنْبى الشِّمال (٣)
فدعْ ضيقةً مثـل شدِّ الإسار   إلى فُرْجةٍ مثل حـلِّ العقال
وقُمْ هاتِهـا مثل ذَوْبِ النُّضار   وموج البحار وطَعْم الزُّلالِ (٤)
جزى اللهُ عنِّى عروس الدَّوالِى   ولا أخطأتْها كُئُوسُ العَزالِى (٥)
بمـا أطعمت من لَذيذِ الثمار   وما ألبست من نَسيج الظلالِ
وما سلْسلت من مُذاب الشُّرور   وما خفضَت من جِماح التغالى (٦)
فـكم زَخرفت جنَّةً للعذاب   وكم رفعت قَبَساً للضلالِ (٧)

---

(١) هو عبد الرحيم بن على البيسانى اللخمى . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربية والأدب ثم كتب فى الاسكندرية فى دواوينها ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ووزر بعده لابنه العزيز وتوفى سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً بإهلال هلال شوّال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولمـا ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتى عن يمينى ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيئاتى عن يسارى لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون فى العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أى هات الخمرة فى لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالى : عنب أسود غير حالك ، يدعو لـكرمة هذا العنب . والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب المـاء من الراوية والقربة ونحوها . يريد بها عزالى السحاب . دعا لهـا بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظللهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالى : المغالاة .

(٧) يشير إلى آثار الخمر فى عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أُغالِط بالكأس حُكْمَ الزمان ... فيومٌ علىَّ ويوم بِما لى[١]
فجاءتْ بِمَا فى عُيون النساءِ ... ومَرّتْ بما فى رُءوس الرجال[٢]
وأسْلُو الغَزَال بها إذ أرى ... بكاساتِها دَمَ ذاك الغزال
وسكرانَ كرّر من سُكره ... زمانٌ على كل عقل مُمَال
فسُكْرُ الشباب وسكرُ الشَّراب ... وسكرُ الصُّدود وسُكرُ الوصال
فلا تذكرنَّ عُهود الوصال ... فعهدى بها والليالى ليالى
ولم أبك عهداً رجاءَ الرُّجوع ... ولكن أُجدِّدهُ بالصِّقال[٣]
بعثْنَ الليالى ببأس جديد ... علىّ قديماً فجاستْ خلالى[٤]
فما جاء عن منطِقى ذمُّ جان ... ولا جاء عن جوْهرى ذم حالى[٥]
ولم أستغثْ تحتَ ظلّ الخطُو ... ب جَرْجرةَ البَزْل تحتَ الرحال[٦]
خَشُنْتُ لحالٍ كشوْك القَتاد ... ولِنْتُ لأخرى كشوك السّيال[٧]
ولَستُ لِساناً لذُل السؤال ... وما زلْت صدراً لعزّ السؤال[٨]
حديثٌ يُناجِى فروع السحاب ... وأصل يُناجى أصول الجِبال

---

(١) أى ويوم يأتى بما هو لى أى بفائدة لى .

(٢) فجاءت الكأس بما فى عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أى وذهبت بما فى رءوس الرجال من العقل .

(٣) أى ولم أبك عهداً من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنى أصقله بعد ما قدم بوصفى له وبكائى عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدمة ، وإما على رأى من يلحق علامة الجمع بالفعل عند إسناده للجمع الظاهر .

(٥) أى أنى لا أذم أحداً جانياً كان أو حالياً بالفضيلة .

(٦) البزل : الجمال المسنة ، أى لا أصيح كجرجرة البزل .

(٧) السيال : جمع سيالة ، وهو نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع خرج منه سائل مثل اللبن ، وهو يلين لنازعه على العكس من القتاد ، وهو شجر صلب له شوك كالإبر ولا يستطاع نزع شوكه إلا بمشقة واحتمال أذى .

(٨) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألوننى .

١٥ — ابن قلاقس (١)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافرْ إذا ما شئت قدْرا   سار الهِلالُ فصار بدرا
والماء يكسِبُ ما جرَى   طِيباً ، ويخبُثُ ما استقرّا
وبنقْلَةِ الدُّرر النقـ   ـيّة بُدِّلت بالبحْر نَحْرا
وَصْلاً إذا امتلأَتْ يدا   ك فإن هما خلَتَا فَهجْرا (٢)
فالبدرُ أنفَقَ نوره   لما بَدا ثمّ استَسرّا (٣)
حركات عيسك ما أردْ   ت مهادَ عيْشك أن تقرّا (٤)
فالمهدُ أسكَنُ للصبِـ   ـيّ بحيث جاء به ومرّا
إمّا تَرَيْنِى شاحب الْـ   ـوجنات قد أُلبِستُ طِمْرا (٥)

---

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمى الإسكندرى الملقب بالقاضى الأعز . كان شاعراً مجيداً رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءها كما مدح أعيان دولة الفاطميين ثم ذهب إلى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم و الأحمر ، إلى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .

(٢) وصلا : أى صل وصلا ؛ والمعنى أبق فى بلدك .

(٣) أنفق نوره : أى لقى محبة وإعجابا . وهو من أنفق القوم ، إذا راجت تجارتهم .

(٤) حركات عيسك . أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قراراً لعيشك ، أى أن الغنى بالسعى دائماً ، فسكن الصبى فى مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومر إلى أخرى .

(٥) الطمر : الثوب البالى .

فوقائع الأيام تخـ — رج أهلها شُعْثاً وغُبرا
مدّت إليّ الأربعو — ن يداً ، وقد قهرتُ عشْرا
واستحدثتْ في لمّتي — نُقَطاً ، فهلا كنّ حِبْرا (١)
ما قلتُ : أفٍّ ! فإنها — شررٌ بأُفٍّ يعود جَمرا
وكفاكَ أني إن نظر — تُ لها نظرتُ النجم ظُهرا (٢)
كان الشبابُ الغضُّ ليـ — لا فاستنار الشيبُ فجرا
ولئن تقلب بي الزما — نُ كما اشتهى بطناً وظَهرا
فبما قتلتُ صروفَه — وقتلتُه جَلَداً وخبْرا
غاض الوفاء ، وفاض ما — ء الغَدر أنهاراً وغدرا
فانظر بعينك هل ترى — عُرفاً وليس تراه نُكْرا ؟
خلُقٌ جرى من آدمٍ — في نَسْله ، وهلُمّ جرّا
ومروّعي بالبحر يحـ — سبُ أنَّنِي أرتاعُ بحرا
أوَ ما درى أني بِتَسـ — هيل المصاعب منه أدرى ؟

وقال مرتجلا وقد خر السقف عليه من أثر مطر هاطل :

ولمّا بدا ركْبُ السحاب تَسوقُه — حداةُ الرياح الُهوج وهي تُزْجر (٣)
ركَنْت لبَيْت أستجنّ من الحَيَا — به ، وإذا غيْث من السقف يقطُر (٤)
فلا فَرق ما بين السحاب وبينه — سوى أن ذَا صافٍ ، وذاك مكدّر

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .
(٢) أي إن نظرت إلى الشعرات البيض في لمتي اسودت الدنيا في عيني وكأني أنظر النجوم في الظهر ، مأخوذ من المثل العامي « يريه النجوم في الظهر » .
(٣) الهوج : جمع هوجاء وهي الريح الشديدة التي لا تستوي في هبوبها بل تتناوح .
(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسهْم فوّارةٍ إذا انبعثَتْ عاوَدَت الجوَّ يجتدى أرضه
كأنها خَيْمَةٌ مكلَّلةٌ عمودُها من سبائك الفضه

وقال يصف الشمس وهى غاربة فى النيل :

أنظر إلى الشمس فوقَ النيل غاربةً واعجَبْ لما بعدَها من حُمرة الشفَق
غابتْ ، وأبْدَتْ شُعاعا منه يخلُفها ؛ كأنها احترقتْ بالماء فى الغرق !
وللهلال ، فهل وافى لينقذَها فى إثرها زَوْرقاً قد صِيغ من وَرِق ؟(١)

١٦ — ابن النبيه المصرى(٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموت كَخيْلِ الطِّراد فالسابقُ السابقُ منها الجوَاد
واللهُ لا يدعو إلى داره إلا مَن استصلَحَ من ذى العباد
والموتُ نقّادٌ على كَفِّهِ جواهر يختارُ منها الجِياد
والمرْء كالظلِّ ؛ ولا بُدَّ أنْ يَزُولَ ذاكَ الظلُّ بعدَ امتداد
لا تصلُحُ الأرواحُ إلا إذا سَرَى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القَنا ودُسْتَ أعناقَ السيُوف الحِداد(٣)

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القناة : جمع قناة وهى الرمح .

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضَيَّعَا ... مَلَكَ الفؤاد فما عسى أن أصنعا ؟
من لم يَذُق ظُلْمَ الحبيب كَظَلْمِه ... حُلواً فقد جَهِلَ المحبة وادَّعى(١)
يأيها الوجهُ الجميلُ تداركِ الصْ ... برَ الجميلَ فقد عفا وتضَعْضَعا
هل في فؤادك رحمةٌ لمتيَّم ... ضَمَّتْ جوانحُه فؤاداً مُوجَعا ؟
هل من سبيل أن أَبُثَّ صبابتى ... أو أشتكى بَلْواى أو أتوجَّعا ؟
إنى لأستحيي كما عوَّدتَنى ... بِسوَى رضاك إليكَ أن أتشفعا

١٧ — ابن مطروح(٢)

قال يصف حسناء تسير بليل :

وما أَنْسَ لا أَنْسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ ... دُجًى فأَضاءَ الأُفقُ من كل موْضعِ
فحدَّثتُ نفسى أنها الشَّمسُ أشْرَقتْ ... وأنى قد أوتيتُ آيةَ يُوشَعِ(٣)

وقال يتغزل :

يا من لبستُ عليه أثوابَ الضَّنَى ... صُفْرًا موشَّعةً بِحُمْرِ الأدْمُعِ(٤)
أَدْرِكْ بقية مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ ... أسفاً عليْك نفيتُها عن أضلُعى

---

(١) الظلم بالفتح : بريق ثغر الأسنان وحسنه

(٢) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسيوط ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة ، وكان زميلا للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٣) يوشع هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد وقفت له الشمس فى قصة معروفة .

(٤) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

وقال أيضاً :

مَلِكُ المِلاَح ترى العيو ... ن عليه دائرة يَطَقْ(١)
ومُخَيِّمٌ بين الضلو ... ع وفى الفؤاد لَهُ سَبَقْ(٢)

١٨ — البهاء زهير (٣)

قال فى الشكوى :

ليتَ شِعْرى هل زمانى ... بعدَ ذَا البُخْلِ يجودُ ؟
ما أرى الشدَّة إلا ... كلما مَرَّتْ تزيدُ
ينقَضِى يومٌ فيومٌ ... فى حديث لا يُفِيدُ
فمتى اليومُ الذى أبـ ... لغ فيه ما أُريدُ ؟

وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يعاهدُنِى : لا خانَنِى ! ثم ينكُثُ ... وأحلفُ لا كلَّمْتُهُ ! ثم أحنثُ
وذلك دأبى لا يزالُ ودأبُهُ ... فيا معشر الناس اسْمَعُوا وتحدّثوا
أقول له : صِلْنى ! يقُول : نعمْ ، غدا ! ... ويكسرُ جَفْناً هازئاً بى ويعبَثُ !
وما ضرَّ بعضَ الناس لو كان زارَنِى ! ... وكنَّا خلَوْنا ساعةً نتحدَّث
أمولاى ؛ إنى فى هواكَ معذَّبٌ ! ... وحتام أبقى فى العذاب وأمكُث
فخذْ مرة رُوحى تُرِحْنى ؛ ولم أكن ... أموتُ مراراً فى النهار وأبعث(٤)

---

(١) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه.
(٢) السبق : خيمة الملك .
(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، ونشأ بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدّم ذكره فكان عنده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٥٦ هـ .
(٤) يقال : أخذ الشىء مرة ، أى دفعة واحدة .

وإنى لهـذا الضيم منكَ لحـاملٌ ومنتظر لُطفاً من الله يَحـدُث !
أعيذُكَ من هذا الجفـاءِ الذى بدا خلائقك الحسنى أرقُّ وأدمَثُ(١)
تردَّد ظنُّ النـاس فينا وأكثروا أقاويلَ : منها ما يَطيبُ ؛ ويخبث
وقد كَرُمتْ فى الحب منى شمائلى ويسأل عنى من أراد ويَبْحث !

وقال فى التغزل ؛ وتلاعب بالتورية والطباق ، ومراعاة النظير :

غيرى على السُّـلْوان قادرْ وسِوَاى فى العشاق غادر
لى فى الغـرام سريرةٌ واللهُ أعــلَمُ بالسرائر
ومُشَبَّـه بالغُصْــن قَلْـ بى لا يزالُ عليـه طائر
حُلْوُ الحديث ؛ وإنَّهـا لحـلاوَةٌ شـقتْ مرائر(٢)
أشـكُو وأشـكر فِعْلَهُ فاعجبْ لشـاكٍ منهُ شاكر ؟
لا تُنْـكروا خفقـان قَلْـ بى ، والحبيبُ لَدَىَّ حاضر
ما القلبُ إلا دارُه ضُرِبتْ له فيهـا البشائر
يا تاركى فى حُبّـــه مثلاً من الأمثـال سائر
أبداً حديثى ليس بالْـ منسوخ إلاّ فى الدفاتر
يا ليــلُ ما لك آخرٌ يُرْجىَ ولا للشـوق آخر
يا ليلُ طُلْ يا شـوقُ دُمْ ؛ إنى على الحالين صـابر
لى فيـــك أجْرُ مجاهد إن صحّ أنّ الليلَ كافر(٣)
طرْفى وطرفُ النجم فيـ ـكَ كلاهما ساه وسـاهر

---

(١) المـكان الدمث : اللين السهل . ودماثة الأخلاق : رقتها .
(٢) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كيس لازقة بالـكبد .
(٣) فى كافر تورية من الـكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافراً ، لأن الشاعر يقطع الليل كله ساهراً . أو من قولهم : الليل كافر ، أى ساتر .

يَهْنِيكَ بدرُك حاضرٌ ياليتَ بدْرى كان حاضر(١)
حتى يبين لناظرى من منهما زاه وزاهر
بدرى أرقُّ محاسناً والفرْقُ مثلُ الصبح ظاهر(٢)

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وادياً بين العريش وبرقةٍ من الغَيْث هطّالُ الشآبيب هَتَّانُ(٣)
وحيَّا النسيمُ الرطبُ عنا إذا سرى هنالك أوطاناً إذا قيل أوطان
بلادٌ متى ما جئْتَها جئْتَ جنةً لعينك منها كلُّ ماشئت رضوانُ(٤)
تمثِّلُ لى الأشواقُ أنّ ترابَها وحصباءها مسكٌ يفوح وعِقْيانُ(٥)
فيا ساكنى مصر تُراكمْ عَلمتُمُ بأنِّىَ مالى عنكم الدهر سُلْوانُ ؟
وما فى فؤادى موضعٌ لسواكُمُ ومنْ أينَ فيه ؟ وهْوَ بالشوق ملآن
عسى اللهُ يَطْوى شُقَّةَ البُعْد بيْننَا فتهدأ أحشاء وترقأَ أجفانُ
علىّ لذاك اليوم صومٌ نذرتُهُ وعندى-على رأى التصوف-شكْرانُ

---

(١) بدر المعشوق : هو الكوكب المضىء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .
(٢) فى الفرق تورية : فرق الشعر ، وفرق ما بين الأمرين .
(٣) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهى الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع .
(٤) الرضوان : الرضا .
(٥) العقيان . الذهب الخالص .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — أبو الفرج الببغاء

من كتاب يهنىء فيه بولاية عمل :

« سيدى — أيده الله — أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلا ، وأشهر فضلا ، من أن نهنئه بولاية ، وإن جل خطرها ، وعَظُمَ قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعيــة بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسمات كياســته . فعرفه الله يمن يتولاه ، وَرعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يبرمه و يمضيه . . . » .

ومن كتاب له فى تهنئة بعيد :

« . . . عرّفَكَ اللهُ يُمن هذا العيد وبركَتِهُ ؛ وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثــاله فى أسبغ النِّعم وأكملها ، وأفسح المُدَد وأطولَها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحظور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور . . . » .

وله من كتاب فى التهنئة بمولودة :

« . . . ومولانا — أيده الله ، مع كمال فضــله ، وتناهى عقله ، وحدة فطنته وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفــكر ، و يسلك بهــا غير

مذاهب الشكر ، وقد اتصل بالمملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند اتضاح الخبر ، وإنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب المملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، لضيق العذر فى مثله عليه . وقد علم مولانا أنهن أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهن فى الترتيب . فقال جل من قائل : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور » . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أحرى . وَلَكَم نسب أَفَدْنَ ، وشرف استحدثْنَ ، من طرق الإصهار ، والاتصال بالأخيار . والملتمس من الذكر نجابته ، لا صورته وولادته . ولَكَم ذَكَرَ الأنثى أكرم منه طبعاً ، وأظهر منه نفعاً . فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويجدد الشكر على ما وهب الله منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هُوَ الأشبهُ ببصيرته والأولى بمثله إن شاء الله تعالى » .

٢ — على بن خلف [١]

كتب فى الدعوة إلى وليمة :

« رقعتى — أطال اللهُ بقاءَ سيدى — ومجلسى بِمَنْ حله من خدمه ، وتركه من صانع كرمه ؛ فَلَكٌ مُزَيَّنٌ بأَنْجُمه . فإنْ رأى أن يُطْلِعَ فيه بَدْرًا بِطلوعه ؛ ويَنْقُل قدمَهُ إليهم ؛ ويُكَمِّلَ نَقْصَهُم بتمامه ، ويُضيفُ ذلك إلى تليد إنعامه — فعل ، إن شاء الله تعالى » .

(١) من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية ، وله فى مصطلح الإنشاء كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

٣ — القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانى رحمه الله يصف مدينة آمِدَ(١) من رسالة جاء فيها :

وآمدُ ذِكرُها بَيْنَ العَالَم ، مُتَعَالَمٌ(٢) ، وطالما صادَمَ جانبها مَنْ تَقَادَمَ(٣) ، فَرَجَعَ عنها مقْدُوعاً(٤) أَنْفُهُ وإن كَانَ فَحْلاً ؛ وفرَّ عنها فريداً بهمِّه وإن استصحب خيلاً وَرجْلا(٥) . ورأى حجرها فَقَدَّر أنَّه لا يُفَكُّ له حجْرٌ(٦) ؛ وسوادها(٧) فظن أنه لا ينسخه فجر ؛ وحَمِيَّةَ أنف أنفتها ، فاعتقد أنه لا يستجيبُ لزجر : مِن مُلوكٍ كلُّهم قد طوى صدره على الغليل(٨) إلى موْرِدِها ؛ ووقف وقفة المحب السائل فلم يفز بما أمّل من سُؤَال معهدها .

---

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن ديار بكر. وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : التى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك « قره آمد » أى آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أى من تقادم من الفاتحين .

(٤) قدع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق إذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة « البيادة » .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هى عليها .

(٨) الغليل : العطش ، يريد الرغبة فى فتحها .

٤ — ابن الصَّيْرَفى (١)

ومن الـكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة فى ركوب الخليفة الفاطمى إلى مصلى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا ؛ وهو يوم أظهر الله فيه قوّة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيـه — رغبة ورهبة — مسارعة النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنـين توجّهت إلى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر ، وحافظت على ما تحرزه من كريم الثواب وجزيل الأجر واستنزلت الرحمـة برؤية إمام الأمة وعدّت الإخلاص فى خدمته من أوفى الحرمات وأقوى الأذِمة (٢) ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار الساطعة طَوالِعُه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ، وقصـد المصلى فى كتائبَ لِجَبَـة (٣) ومواكب للتعظيم مستوجبَة ، وعزة تتبين فى الشمائل والصفحات ، وقُوّة يشهد بطيب وصفها أرج النفحات ، قد غدت عددها محـكمة وخيولها مطَهمة (٤) ، وذَوابلُها (٥) إذا ظمِئت (٦) كانت مقوّمة ، وإذا رويت (٧) عادت محطّمة . تتقـلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجـائر الحائفْ ، ومتى اقتضبت (٨) عمـلا كان اقتضابها مبيضاً للصحائف . وفى ظلها معاقل للائذين ،

---

(١) هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الـكاتب المعروف بابن الصيرفى كان من شيوخ الـكتاب فى دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيراً من الـكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ ﻫ

(٢) الأذمة جمع ذمام ، وهى الحق والحرمة .

(٣) الـكتيبة : الجيش ، ولجبة : كثير الجلبة والأصوات لـكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارع الجمال من كل شىء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أى الجافة القصب .

(٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) وإذا رويت ، أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لـكثرة ماطعن بها .

(٨) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض إلى آخر فى الشعر أو الـكتابة .

وبحدها مصارع المنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولمستغلق البلاد مفاتح ، ولمستَفْتِحِها مغالق . ولما انتهى إلى المُصلَّى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرَقِيَه ، وخطب خطبة من استخلفه الله فكان مراقبَهُ ومتَّقِيَهُ ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل فى نصحه فى الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدة له ، فنحرها جاريا فى الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل وإنجاز وعده فى الأعادى ، فالله يقضى بتصديقه ويمنّ بتخيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرمة مشكورا سعيُهُ ، مضموناً نفعهُ ، مرضيا فعلُه ، مشمولا عبيدُه منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ، فاعلم هذا واعمل به وكتب فى اليوم المذكور .

٥ — ابن قادوس(١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية :

« النعم وإن كانت شاملة للأمم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ فى الآفاق أعلامه ، واعتداد تُحْكَمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك فى النفع بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمة : النيل المصرى(٢) الذى تبرز به الأرض الجرز(٣) فى أحسن الملابس وتظهر حلل الرياض على القيعانِ والبسابس(٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللجين والعِقيان فسبحان من جعله سبباً لإنشار الموات ووفّر به مواد الأرزاق والأقوات » .

---

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء باب الإنشاء فى الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أو هى الأرض التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانياً — النثر العلمى التأليفى

١ — المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة اللزوميات :

« . . . وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : « إنى رفضت الشعر رفض السَّقَب غرسه[١] ، والرأل تريكته[٢] ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعِير على نظامه بالشبهات ، فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً المتوسن[٣] ، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغِش والمكر فهو — إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُف ما ينطبق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بِضَرِيِّه[٤] من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف[٥] الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حيث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس[٦] الشقاء .

---

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سقط الزند .

(٣) المتوسن : النائم .

(٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حلمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة ، وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، لتكونَ قضاءَ حقٍّ للتأليف . وبالله التوفيق » .

٢ — ابن شداد(١)

فصل من كتابه « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية » :

« . . . . كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلا رضيعاً له ثلاثة أشهر ؛ وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

« ولمَّا فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذنا لك بالخروج ، فاخرجى واطلبيه منه ، فإنه يرده عليك . فخرجت تستغيث إلى اليزك ، فأخبرتهم بواقعتها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديداً ، ومرَّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودمعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب ، وملازمى ركابه .

فى السوق ، فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشترى ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً حتى أحضر الطفل وسُلم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديداً . وضمته إلى صدرها والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعته ساعة .

ثم أمر لها ، فَحُمِلَت على فرس ، وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر » .

عصر المماليك والعثمانيين

(ا) الشعر

١ — شمس الدين محمود الكوفى

قال فى رثاء بغداد :

إنْ لم تقرِّحْ أدمُعِى أجفانى   من بَعْدِ بُعْدِكُمُ — فما أجْفانى(١)
إنسانُ عينى مذ تناءتْ دارُكُمْ   ما راقَهُ نظرٌ إلى إنسانِ(٢)
يا ليتنى قد مِتُّ قبلَ فِراقِكمْ   ولساعةِ التوديع لا أحيانى
ما لى وللأيامِ شتَّتَ خَطْبُها   شملِى ؟ وخَلَّانِى بلا خُلان
ما للمنازِلِ أصبحتْ لا أهلُها   أهلِى ، ولا جيرانُها جيرانى
وحياتِكم ما حلَّها من بَعْدِكم   غيرُ البِلَى والهدم والنيران
ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلِكُمْ   ووقفتُ فيها وِقْفَةَ الحيران
وسألتُها لكن بغير تكلم   فتكلمتْ لكن بغير لسانِ
ناديتُها يا دارُ ؛ ما صنع الأُلَى   كانوا هُمُ الأوطارَ فى الأوطانِ ؟(٣)
أينَ الذين عَهِدْتُهم ولعزِّهم   ذُلًّا تخِرُّ مَعَاقِدُ التيجان ؟
كانوا نجومَ من اقتدَى فعليهمُ   يبكِى الهُدَى وشعائرُ الإيمانِ

(١) أجفى ، أفعل تفضيل من جفا الرجل يجفو ، أى : غلظ وثقل .
(٢) إنسان العين : سوادها .
(٣) الأوطار . جمع وطر ، وهو البقية والغرض .

قالت : غدوا لما تبدد شملهم   وتبدلوا من عزهم بهوان
كدم الفصاد يُراقُ أرذل موضع   أبداً ويخرُجُ من أعزّ مكانِ
أفنتهُمُ غِيَرُ الحوادث مثلما   أفنت قديماً صاحب الإيوان (١)
لما رأيتُ الدار بعد فراقهم   أضحت مُعَطَّلَةً من السكان
ما زلتُ أبكيهم وألثمُ وحشةً   لجمالهم مُتَهَدِّم الأركان
حتى رثى لى كلُّ من : ما وجْدُهُ   وجدِى ، ولا أشجانُه أشجانى
أترى تعود الدارُ تجمعنا كما   كنا بكلِّ مسرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحن نغتنمُ الزمان ونجتنى   بيد الأمان قُطوفَ كلّ أمانِ (٢)

٣ — بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (٣)

قال فى الصبابة والتحزن :

وتنبهتْ ذاتُ الجْناح بسُحْرة   بالوادِيَيْنِ فنبهت أشواقى (٤)
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن   يعقوب والألحان عن إسحاق (٥)
قامت تطارحنى الغرام جهالة   من دون صحبى بالحمى ورفاق
أنَّى تباريني جوًى وصبابة   وكآبةً وأسًى وفيض مآق
وأنا الذى أملى الجوى من خاطرى   وهى التى تُملى من الأوراق (٦)

---

(١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .
(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .
(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبة يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ .
(٤) ذات الجناح : الحمامة . والسحرة : قبيل الفجر .
(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ، وإسحاق بن ابراهيم الموصلى وهو المراد.
(٦) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال فى الروض :

الروض أحسنُ ما رأيْـ ـتُ إذا تكاثرت الهمومُ
تحنُو علىّ غصُونُه ويرقّ لى فيه النسيمُ

٣ — الشاب الظريف(١)

قال من قصيدة له فى الشكوى والحكمة :

أبت رِقّتى إلّا الذى يقتضى الهوى وعزمى إلّا ما اقتضى الرأىُ والعقلُ
فوا عجباً أنّى خفِيتُ ، ولم أَبِنْ وقد راح مملوءاً بى الحُزنُ والسّهْلُ ؟
طريدٌ ولى مأوًى ، مُباحٌ ولى حمًى وحيدٌ ولى صحبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهدُ : إمّا المنايا ، أو المُنَى قُصاراى: إمّا النّصرُ ، أو ما جنَى النّصلُ (٢)
فإن لم تصانِى همّتى بمطالبى ولم ينْتسج للشّيب فى لِمّتى غزلُ
فلا نظرت عينى ، ولا فاه مِقْوَلى ولا بطشت كفّى ، ولا سعت الرّجلُ
ومن عرف الأمر الذى أنا عارفٌ رأى كُلّ صعب كُلّ إدراكه سهلُ
خُذ العِزّ من أىّ الوُجُوهِ رأيتَهْ فلا خيْر فى عيش يكونُ به الذّلُّ
والمرء من داعى الطبيعة قائدٌ إذا لم يذُدْهُ دونه الحلْمُ والنُّبْلُ
من التُّرب هذا الطبع ، والنفس من عُلاً فللمرء أنْ يدنو والمرء أن يعلو

وقال فى التغزل :

يا ساكناً قلبى المُعَنَّى وليس فيهِ سِوَاكَ ثانى
لأىِّ معْنًى كسرت قلبى وما التقى فيه ساكنان (٣)

---

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى ٦٩٥ هـ . ويمتاز شعره بالرقة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراى : أى غايتى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه النصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك بالكسرة المعروفة للتخلص فى التقاء الساكنين : وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين.

وقال فى زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ إلى جنابك قاضياً ... باللَّثْم للعتَبات بعض الواجب (١)

وأتيتُ أقصد زورةً أحيا بها ... فرُدِدت — ياعينى — هناك بحاجب (٢)

وقال فى الغزل :

بدا وجهُهُ من فوق أسْمَرِ قدِّهِ ... وقدلاح من سُودِ الذوائب فى جنح

فقلت عُجيب ! كيف لم يذهب الدُّجى ... وقد طلت شمس النهار على رمح ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلتْ بك الأشواق ... واشرح هواك فكلُّنا عُشاق

فعسى يُعِينُك من شكوت له الهوى ... فى حمله ، فالعاشقون رفاق

لا تجزعنَّ ، فلست أوّل مُغرم ... فتكت به الوجنات والأحداق

واصبر على هجرِ الحبيب فربما ... عاد الوصالُ وللهوى أخلاقُ (٤)

كم ليلة أسهرتُ أحداق بها ... وجداً وللأفكار بى إحداق (٥)

يا ربِّ قد بعُدَ الذين أُحِبُّهُمْ ... عنِّى وقد ألف الفراق فراق

واسودَّ حظى عندهم لما سرى ... فيه بنار صبابتى إحراق

عُرْبٌ رأيتُ أصحَّ ميثاق لهم ... ألَّا يصحَّ لَدَيهِمُ ميثاق

---

(١) الجناب : الناحية والكتف .

(٢) كذلك التورية هنا فى كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الذوائب . وشمس النهار : الوجه . والرمح : القد :

(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالا وتجنيا ، ثم يصل بعد ذلك .

(٥) أحدق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بى وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومعشر لم تزل للحرب بيضهمُ ... حُمْرَ الْخُدُودِ وما من شأنها الخجل (١)

إذا انتضوها بُرُوقاً صُيِّرت سُحُباً ... يسيل من جانبيها عارضٌ هطل (٢)

يثنى حديث الوغى أعطافهم طرباً ... كأنّ ذِكْرَ المنايا بينهم غزل (٣)

كم نار حرب بهم شبت وهم سُحُب ... وأرض قوم بهم فاضت ، وهم شعَل (٤)

ضاءت بحسنهم تلك الخيامُ كما ... ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدُّول

أغرُّ ما أبدت السحبِ الْحَيَا لِسوَى ... تقصيرها عن مداهُ حين ينهمل (٥)

أوحى إلى كُلّ قِرْطاس بلاغتهُ ... سِحْرَ البيان ، ومن أقلامِهِ الرُّسُل

سُمْرٌ تَرُوقك رأى العين عارية ... ومن بديع معانيه لها حلل

من كل معتدل كالمِيلِ إنْ رمِدَت ... عينُ المعالى ففيها نِقْسُه كحل (٦)

فللعُـدة لديه كلُّ ما حذِرُوا ؛ ... وللعفاة عليه كل ما سألوا

أضحت يداه لعقد الجود واسطةً ، ... فليس يُدْرى لجود بعدها عطل (٧)

وقال فى الغزل ، وسلك مسلك الرسائل السلطانية فى الافتتاح بدعاء خاص :

أعزّ الله أنصار العُيون ... وخلَّدَ مُلْكَ هاتيك الْجُفُون

وضاعف بالفتور لها اقتداراً ، ... وإن تكُ أضْعَفَتْ عقلى ودِينى

---

(١) البيض : السيوف وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .

(٢) أنتضى السيف : أسله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به إلى كثرة ما يسيل من دماء أعدائهم .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحب أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ، ففى البيت تورية وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كحل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وأَبقَى دولةَ الأعطاف فينا ، وإن جارتْ على قلبي الطّعِين
وأسبَغَ ظلَّ ذاك الشّعْر منه على قدٍّ به هَيْفُ الغُصُون
وصانَ حجاب هاتيك الثّنايا وإن ثَنت الفؤاد إلى الشُّجُون
حَملْت تَسهُّدى والشَّيب : هذا على رأسى . وذاك على عُيُونى

٤ — سراج الدين الوراق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال فى شكر الله على نعمائه :

إلٰهى لقد جاوَزتُ سبعين حجة فشُكرًا لنُعماك التى ليس تُكفَرُ !
وعُمِّرتُ فى الإسلام فازددتُ بهجة ونورًا لذا قالوا ، السراجُ المُعمَّرُ(١)
وعمّ نُورُ الشيبِ رأسى فسرّنى وما ساءنى أنّ السراج مُنوِّرُ

وقال فى لوم النفس على المعصية :

يا خجْلَتى وصحائفى سود غدت وصَحائفُ الأبرار فى إشراق
ومُوبخ لى فى القيامةِ قال لى : أ كذا تكُونُ صحائفُ الورّاق ؟(٢)

وقال فى الترفع :

أصُون أديم وجهى عن أناس لقاء الموت عندهم الأديبُ(٣)
وربُّ الشعر عندهم بَغيضٌ ولو وافَى به لهُمُ حبيبُ(٤)

---

(١) البهجة : الحسن .
(٢) الوراق : مورق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .
(٣) الأديم : البشرة .
(٤) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور ، والحبيب : المحبوب ، ففى الكلمة تورية .

وقال فى الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بأَطْلالِ الأحبَّـةِ سائلا ودمعى يسقى ثَمّ عهداً ومعهدا(١)
ومِن عَجَبٍ أنِّى أُروِّى ديارهم وحظِّى منها حين أسأَلُها الصّدى(٢)

٥ — نصر الدين الحمامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رأيتُ شخْصًا آكلاً كرشةً وهو أخو ذوْقٍ ، وفيهِ فطن(٣)
وقال : ما زالتُ مُحبًّا لهـــا ، قلتُ : من الإيمان حبُّ الوطن !

وقال فى ذم داره :

ودارٍ خرابٍ بها قد نزلتُ ولـكن نزلتُ إلى السابعهْ(٤)
طريقٌ من الطُرق مسلوكةٌ مَحجّتُها للـورى شاسِـعه(٥)
فلا فرق ما بيْن أنِّى أكونُ بها ، أو أكونُ على القارعه(٦)
تُساورُها هفَواتُ النسـيمِ فتُصغى بلا أُذُنٍ سامعـه(٧)
وأخْشى بها أن أُقيم الصـلاة فتسْـجُد حيطانُهـا الرّاكعـه
إذا ما قرأتُ : « إذا زلزلت » خشيتُ بأن تقرأ : « الواقعه »

---

(١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .
(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .
(٣) الفطن : الفطنة .
(٤) نزلت (الأولى) : حللت . ونزلت (الثانية) : هويت وسقطت ، والسابعة ، أى الأرض السابعة .
(٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .
(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .
(٧) تساورها : توافيها .

٦ — عمر بن الوردى (١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أأُقْتَلُ بين جِدِّك والمُزاح ... بِذِبْلِ جفُونكَ المَرْضى الصِّحاح (٢)
يكدِّرُنى نواك ، وأنت صافٍ ... ويُسْكرنى هواك ، وأنت صاحى
وأبكى للغـرام ، وأنت لاهٍ ... وأُعْذرُ فى الأُوام ، وأنت لاحى (٣)
فـا لِسراح دمعى من إسار ... وما لإسار وجـدى من سراح (٤)
وما لصباح وجهك من مسـاء ... وما لمسـاء شَعْرك من صباح
رضاك إلى رُضابِكَ لى دليلٌ ... أليس كلاهما رُوحى وراحى ؟ (٥)
ولى لحظٌ يطيرُ إليك شوْقاً ... فها قد طار مبلول الجَنَاح !
ووجهك فوق قدِّك عرَّفانى ... بإثمار البُـدور من الرِّماح (٦)
لقد أصبحتُ من سرِّى ودمْعى ... لَقًى بين اســـتتار وافتضاح (٧)
يحِقُّ لمن لحانى فيـك ذمى ... وحقٌ لـكاتب السر امتداحى (٨)
ولستُ سوى ابنِ فضلِ اللهِ أعنى ... شهاب الدين ذى الغُرر المِلاح

---

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ . وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا .

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ، وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح الخمر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقى : المطروح من الشيء .

(٨) لحانى : عابنى ولامنى .

له قلمٌ بفضلِ الله يحيا لنا يحيي به بعد انتزاح
فما أدري انقشاً فوق طِرْس يُطرِّزُ أم مساءٌ في صباح ؟
أشدُّ من القضاء مضاء أمرٍ وأجرى في الخطوب من الرياح
فخذها بنت ليلتها عروساً تزف إليك كالخَوْد الرَّداح(١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علومى ولستُ أرى التكسب بامتداح
فلى من أنْعُمِ الرحمن مالٌ يصونُ عن احتياج واجتياح
ولم أقصد بمدحك غير رد أروضُ به الزمان عن الجماح

وكتب إلى القاضي جمال الدين معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أرَدْتَ تهجُرُني علاما وتُوقظُ بالنوى إبلاً نياما ؟
لعلَّكَ يا جليد القلب تبْغى رحيلاً يُورِثُ الدمعَ انسجاما(٢)
فهل لاقيتَ في حلب هُموماً فتزْمِع عن نواحيها اهتماما ؟
فلا تأخذ دمشْقَ لها بديلاً أغيظاً ذاك منك أم انتقاما ؟
وإن تكُ بالتفرُّق لا تبالى فهذا يمنعُ العين المناما
وإن ترْحلْ لنيلِ غِنًى فسهلٌ غناك هنا إذا أمسكت عاما
وإن ترْحلْ تريدُ تمام جاهٍ فمه ؛ إني أحذِّرُك التَّماما
وإن ترْحلْ رجاءً لاشتهار فكم من شُهْرة تُوهى العظاما
أقِمْ في الأهل في رغد وطيب بأمْرى ، واغتنم ذاك اغتناما

---

(١) الرداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .
(٢) القلب الجليد ، الغليظ الشديد : وانسجام الدمع : انصبابه .

٧ — صفى الدين الحلى (١)

من مُلَحه :

إنما الحَيْزَبُون والدَّرْدَبيسُ والطَّخَا والنُّقَاخُ والعَلْطَبِيس (٢)
لُغةٌ تنفِر المَسامعُ منها حِين تُرْوَى وتَشْمَئِزُّ النفوسُ
وقبيحٌ أن يُذكرَ النافرُ الوحْ شِيُّ منها ويُتْرَك المأنُوسُ (٣)
أينَ قولى: هذا كَثيبٌ قديمٌ ومَقَالى عَقَنْقَلٌ قُدْمُوسُ (٤)
خل للأَصْمَعِيِّ جَوْبَ الفَيَافى فى نِشَافٍ تَخِفُّ فيه الرءوس (٥)
إنما هذه القلوبُ حديدٌ ولَذيذُ الألْفاظِ مغْناطِيسُ

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَعَ الربيعُ على غُصون البانِ حُلَلًا فواضُلها على الكُثْبان (٦)
ونَمتْ فروعُ الدَّوْح حتى صافحتْ كَفَلَ الكثيب ذوائبُ الأغصان (٧)

---

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشى من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٤) العقنقل : الكثيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيافى : مفردها فيفاء ، وهى المفازة لا ماء فيها . جوب الفيافى : قطعها . ونشاف جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٦) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحتين : العجز .

وتتوَّجَتْ هامُ الغصُون ، وضرَّجَتْ خَدَّ الرياض شقائقُ النُّعْمَانِ
وتنوَّعتْ بُسُط الرياض ، فزَهْرُها متبـايِنُ الأشكال والألوان :
من أبيض يقَقٍ ، وأصفرَ فاقع ، أو أزرق صاف ، وأحمرَ قاني
والظلُّ يَسْرِق فى الخمائلِ خَطْوَه والغُصْن يَخْطِر خطرَةَ النشوانِ(١)
وكأنما الأَغصانُ سوقُ رَوَاقص قدْ قُيِّدَتْ بسَلاسِل الرَّيْحَان(٢)
والشمسُ تَنظُرُ من خلال فروعها نحوَ الحدائق نِظْرَةَ الغَيْرَان(٣)
والطَّلْعُ فى خَلَلِ الْكِمام كأنه حُلَلٌ تَفتَّقُ عن نُحورِ غوَانِي(٤)
والأرضُ تعجب كيف تَضحك والحَيَا يَبْكى بدمع دائم الهَمَلَان(٥)
فاُصرفْ همومَك بالربيع وفضْلِه ؛ إن الربيعَ هو الشبابُ الثانى
أنَّى ؟ وقدْ صَفَتِ المياه وزخرفتْ جناتُ مصرَ ، وأشْرقَ الهرمان ،
واخضرّ واديها ، وحَدَّق زهرُه والنيلُ فيه ككوثر بجنان
و به الجوارى المُنشآتُ ، كأنها عنـد المَسير تَهُمّ بالطيران
والماء يُسْرِع فى التدفُّق كُلَّما عَجلَتْ عليـه يدُ النَّسيم الوانى(٦)

---

(١) الخمائل : جمع خميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يخطر : يتمايل . النشوان : السكران .

(٢) سوق رواقص ، مفرد السوق : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .

(٣) الغيران : شديد الغيرة .

(٤) الطلع : طلع النخلة . والخلل بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ، والكمام : وعاء الطلع . الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .

(٥) الحيا : المطر . والهملان : الجريان .

(٦) الوانى : الضعيف .

حتى إذا كُسرَ الخليجُ وقُسِّمتْ ... أمواهُ لُجّتهِ عَلَى الخُلْجَان

ساوَى البلادُ كما تُساوى فى الندَى ... بين الأنام مَواهب السلطان

ملِكٌ إذا اكتحلَ الملوكُ بنُوره ... خرُّوا لهيبته إلى الأذقانِ (١)

قد عَزّ دينُ محمد بسَميهِ ... وسَما بنُصْرته على الأدْيان

شاهدتُه فشَهدتُ لُقمان الحجا ... ونظرْتُ كسرى العدْل فى الإيوان (٢)

ورأيتُ منه سماحةً وفصاحةً ... أعْدَى بفَيْضهما يَدى ولسانى (٣)

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم من الصيد :

مرحباً بالحَيَا لكلّ جديب ... لا عَدِمْنا نوالَه وظِلالَهْ (٤)

مَلِكُ الجود والثنا والمعالى ... والسجيات كلها والأصالهْ

رَقَمتْ حُلّةُ الرياض فخِلْنا ... أنّ روْضاً قد استعار خلالَهْ

وابتَغى الأفْقَ للعلا فحسْبْنا ... أنه يُنْعِلُ الجوادَ هلالَهْ (٥)

جاء من صيده السعيد كبدر ... ما رأى الطّرْفُ فى السّناء مثالَهْ (٦)

كم غزالٍ رَمَى ؛ فلوْ أمّن الشمْـ ... ـسَ من الخوْف ما تسمَّتْ غزَالهْ (٧)

---

(١) الأذقان : مفرده ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحييه .

(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .

(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أكسب يده سماحة ولسانه فصاحة مثل سماحة الملك الممدوح وفصاحته .

(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .

(٦) السناء : الرفعة .

(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف صيد الغزلان ، فلو أراد ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

ولَعمرى لو استجار به ٱلوحْ ـشُ ثَنَى — بعدما استَقلَّتْ — نِبَاله(١)
أيْد اللهُ ملكه ووقاه وحَمَى سِرْبَه وصان جَلاله(٢)

وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتقى المغول وحربهم عند ما أغاروا على ماردين :

أمِنْ حَجَرٍ فؤادُك أم حديدُ فَفيه على الوغَى بأسٌ شديدُ(٣)
وأطوادٌ حُلومُكَ أم جِبالٌ تَميد الراسياتُ ، ولا تَميدُ(٤)
لأنكَ كلَّما حاولْتَ أمرًا يُصوَّبُ فعْلَكَ الرأْيُ السديدُ
طَلَعْتَ على العُداة ، وأنتَ شمسٌ فذَابَ بحرِّ موقِعها الجليدُ
أغَرْتَ على حِماهُم غيرَ عادٍ ولاقَوْا منكَ ما لاقتْ ثمودُ(٥)
بجيشٍ ترجُفُ الرّاياتُ فيه وتخفِق دونَ مَقْدَمِه البنُودُ
وتهتزُّ الذوابلُ فيه عُجْبا كما اهتزَّتْ من المَرَح القُدودُ(٦)
عَجِلْتَ إلى قراعِهِمُ بعزمٍ به يَدْنو لك الأمَدُ البعيد
وكم وَانٍ يَعُدُّ العَجزَ حلماً فيندَمُ ؛ والنَّدامَة لا تُفيدُ(٧)
ومَنْ يَرَ ما يُريدُ وكَفّ جُبْناً رأى مِنْ بَعْده مالا يُريدُ

---

(١) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٢) حمى الله سربه : حفظ نفسه .

(٣) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٤) الطود : الجبل . حلوم : مفرده حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشامخة الثابتة .

(٥) عاد : معتد ظالم . وفى الكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين فى القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

(٦) الذوابل : الرماح الرقيقة . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس

(٧) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال فى فرسٍ أدْهَمَ مُحَجَّل :

ولَقَدْ أروحُ إلى القنيصِ وأغتَدِى   فى مَتنِ أدْهَمَ كالظَّـلامِ مُحَجَّلِ
رامَ الصباحُ من الدُّجَى استنقاذَهُ   جَسَداً ، فلم يَظْفر بِغَـيْرِ الأرجُلِ (١)
فـكأنّهُ صِبْغُ الشَّبِيبَة هابَهُ   وخَطُّ المَشِيبِ ، فجاءَهُ من أسْفَلِ

وقال فى وصف عُودِ طَرَب :

وعُود به عادَ السرورُ لأنّه   حَوَى اللهوَ قِدْماً وهو رَيَّانُ ناعِمُ
يغرِّبُ فى تَغْرِيده فـكأنّه   يُعيدُ لنا ما لَقَّنَتْهُ الحَمائِمُ

٨ — جمال الدين بن نباتة المصرى (٢)

قال يرثى ولداً له مات صغيراً :

اللهُ جارُكَ إنَّ دَمْعِى جارِى   يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوْطارِ (٣)
لمـا سكَنْتَ من الترابِ حديقةً   فاضتْ عليك العينُ بالأنْهارِ
شَتَّانَ ما حالى وحالُكَ : أنتَ فى   غُرَفِ الجِنانِ ، ومهْجتى فى النارِ
خَفَّ النَّجَا بك يا بُنَيَّ إلى الثَّرَى   فسبقْتَنِى ، وثَقُلْتُ بالأوْزَارِ (٤)

---

(١) رام الصباح من الدجى استنقاذه : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، فى حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفى بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر فى شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو فى هـذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامى فى قصيدته التى رثى بها ولدا له مات صغيرا كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك فى هذا الجزء

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليتَ الردَى إذ لم يَدَعْكَ أهابَ بى؛ حتى نَدُومَ معاً على مضمارِ (١)

ليتَ القَضَا الخاوى تمهَّل وِرْدُهُ حتى حَسِبْتُ عواقِبَ الإصْدَارِ

ما كُنْتَ إلَّا مِثْلَ لمحةِ بارقٍ وَلىَّ . وأغْرَى الجفْنَ بالإمطارِ

أبكيكَ ما بَكَت الحمامُ هَديلَها وأحنُّ ما حَنَّتْ إلى الأوكارِ (٢)

أبكى بمُحْمَرِّ الدموعِ؛ وإنما تَبْكى العيونُ نظيرَها بنُضَارِ

قالوا: صغيرٌ! قلتُ إنَّ! وربما كانت به الحسَرَاتُ غيرَ صغارِ (٣)

وأحقّ بالأحزان ماض لم يُسىء بيَدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ (٤)

نائى اللّقا، ورِحَاهُ أقربُ مَطْرَحاً يا بُعْدَ مجتمعَ وقربَ مزارِ!

لَهَفِى لغُصنٍ راقنى بنباته لو أمهلتْه التربُ للإثمارِ

لهفى لجوهرةٍ خفَت، فكأننى حجَّبتُها من أدمعى ببحارِ

لهفى لسارٍ حارَ فيه تجلدى وَاحيرتى بالكوكب السيارِ!

سكن الثَّرى؛ فكأنه سكن الحشا من فرْطِ ما شُغِلَتْ به أفكارى

أعززْ علىّ بأنّ ضَيْف مسامعى لم يحظَ من ذاكَ اللسان بقارى! (٥)

أعزز علىّ بأن رحلتَ ولم تخُضْ أقدامُ فكركَ أبْحُرَ الأشعار

أعزز على بأن نُثِرْتَ على الثَّرى وعليك من دمعى كُدرٍّ نِثار (٦)

---

(١) أهاب بى: دعانى .

(٢) الهديل هنا: أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تبكيه .

(٣) إن: أى نعم .

(٤) اللسن بكسر اللام: اللسان .

(٥) أعزز على: أى ما أعز ذلك وما أصعبه . وقارى: من القرى وهو ما يقدم للضيف الطعام، أو من القراءة ففى الكلمة تورية .

(٦) نثار: أى منثور .

أبُنَىّ ، إنْ تُكْسَ الترابَ فإنه ... غاياتُ أجمعنا ، وليس بعَار
ما فى زَمانك ما يَسرُّ مؤمِّلًا ... فاذهبْ كما ذهب الخيالُ السارى
لو أنّ أخْبارى لديك توصلتْ ... لبكيتَ فى الجنَّات من أخبارى
أحزانُ مدَّكِرٍ ، وسَلْوةُ مُفْرَدٍ ، ... ومُقامُ مَضْيَعَة ، وذُلُّ جِوارِ
أبُنَىّ ، إنى قد كَنَزْتُكَ فى الثَّرى ... فانفع أباكَ بساعة الإقتار(١)
أبُنَىّ ، قد وقفتْ علىّ حوادثٌ ... فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ
وَمَضى البياضُ من الحياة وطيبها ... لكنها أبقَتْه فوقَ عِذارى(٢)
نَمْ وادِعاً ، فلقد تقرّح ناظِرى ... سَهراً ، ونامت أعينُ السُّمّارِ
أرعَى الدُّجى وكأنّ ذيلَ ظلامِهِ ... مُتشبِّثٌ بالنّجْم فى مِسْمارِ
خَلَعَ الصباحُ على المَجَرّةِ سَجْفَه ... أم قُسِّمَتْ شمسُ النهار دَرارى ؟(٣)
تبًّا لعادِيَةِ الزمانِ على الفتى ؛ ... فلقد حذِرْتُ وما أفاد حِذارى
وحويت ديناراً بوجهك فانتحى ... صَرْفُ الزمانِ ، فراحَ بالدينارِ(٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه فى والده المؤيد :

هَنَاءٌ محا ذاكَ العَزاءَ المقدّمَا ... فما عبَسَ المحزونُ حتى تبسما
ثغورُ ابتسامٍ فى ثغور مدامعٍ ... شبيهانِ لا يمتازُ ذو السبق منهما

---

(١) لعله يريد بساعة الإقتار يوم الحساب ، أى الاقتار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له فى ذلك اليوم ذخراً .

(٢) يشير إلى مشيبه . والعذار : الشعر المحاذى للأذن .

(٣) المجرة : منطقة فى السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدرارى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تناثرت نجوما ، هى التى أراها ، وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارِى الدمع والبشرُ واضحٌ ... كَوابلِ غَيْثٍ فى ضُحَا الشمس قد همى
سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى ... تَدَانتْ له الدُّنيا وعزَّ به الحمى
مليكان : هذا قد هوى لضريحِهِ ... برَغْمِى ، وهذا للأَسرَّةِ قد سما
ودوحةُ ملك شاذوىٍّ تكافأت ... فغصنٌ ذوى منها ، وآخرُ قد نما(١)
فقـــدنا لأعناق البرية مالــكا ... وشمنا لأنواعِ الجميـــل مُتَمِّمَا
إذا الأفضل المَلْكُ اعتبرتَ مَقامه ... وجدتَ زمانَ المُلْك قد عاد مثلما
أعاد معانى البيتِ حتى حسبتُه ... بوزن الثنا والحمد بيتاً منظما(٢)
وناداهُ مُلْكٌ قد تقــادَمَ إرثُهُ ... فقام كما تَرْضى العُلا وتقدَّما
تُقَابِلُ منــه مقلةَ الدَّهر سُؤْدَدا ... صمِيماً ، وتنضُو الرأىَ عَضْبا مُصمِّمَا
ويقسم فينا كل سهم من الندى ... ويبعثُ للأعداءِ فى الروعِ أسهما(٣)
كأَنَّ ديارَ الملك غابٌ إذا انقضى ... به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما(٤)
كأن عماد البيتِ غيرُ مقوّض ... وقد قمت يا أزكى الأنامِ وأحزما
نهضتَ فما قلنا : سيادةُ معشرٍ ... تداعَتْ ، ولا بُنيانُ قومٍ تهدَّما
أما والذى أعطــاك ما أنتَ أهْلُهُ ... لقَدْ شاد من علياكَ رُكْناً مُعظَّما
وقد أنشرَ الإسلامَ بالخلفِ الذى ... تمــكَّن فى عليــائهِ وتحكما
فإن يكُ مِنْ أيوب نجمٌ قد انقضى ... فقد أطلعت أوصـافُك الغرُّ أنجما
وإن تكُ أوقات المؤيد قد خلَت ... فقــد جدَّدت علياك وقتاً وموسِمَا
عليه ســلامُ الله ما ذرّ شارق ... (ورحمتُهُ ما شاء أن يترحما)(٥)

---

(١) شاذوى : نسبة إلى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبى .
(٢) البيت : أى بيت الملك .
(٣) سهم من الندى : أى نصيب .
(٤) الضيغم : الأسد .
(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال فى الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابنَا دارُكمْ والعيشُ نَعْمَانُ   والسَّفْحُ دَمْعى ، ودارُ القلْبِ حَرَّانُ (١)
أشكو اشتياقاً ، وما بالوصْلِ من قِدَمٍ   كأنَّ وصْلى لفَرْط الحُبِّ هجرانُ
ورُبَّما رُمْتُ أن أشكو السُّهاد إلى   عدْل المنام ، وقلتُ : النومُ سُلْطان
يأيها الناصرُ السلطانُ لا غَمضتْ   عينٌ لها عن سَنى مَرْآكَ سُلْوانُ (٢)
كم فى ملوك الورَى فضلٌ ومعرفةٌ   كانوا ، ومثلكَ فى ذا النحو ما كانوا
إن يمض كِسْرى فكم إيوان مَعْدَلةٍ   لديكَ قد زانه يُمْنٌ وإيمان
أمَّرتَ شِعرىَ يا خيرَ الملوكِ على   أشعارِ قومٍ ، فلى أمرٌ وديوانُ

٩ — محي الدين بن قرناص الحموى

قال يصف روضا :

سَقيا له رَوضا قُدودُ غُصونِه   تخْتَال فى الأبْراد من أوْراقها (٣)
جُنَّت به وُرْقُ الحمام صَبابةً   أوَمَا ترى الأغْلال فى أعناقها ؟ (٤)

---

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد فى طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى سار ناعما لينا . حران : بلد بشمالى الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعه : تختال : تعجب بنفسها مرحاً ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أورق وورقاء . والحمامة الورقاء : التى لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفرده غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق لأن المجنون كان يوضع فى أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضاً :

قدْ أتيْنا الرياضَ لمَّا تجلَّتْ   وتحلَّتْ منَ النَّـدى بجُمَان(١)
ورأينا خواتِمَ الزّهْرِ لمّـا   سقطتْ من أنامِلِ الأغصَان

وقال يصف نهرا :

وربَّ نهـر لهُ عيـونُ   تحَارُ في وَصْـفه العيُـون
لمّا غدَا الريقُ منه عَذْبا   مَالتْ إلى رَشْـفه الغُصُـون(٢)

١٠ — على بن محمود المبارك(٣)

قال يذم دار سكناه :

دار سكنتُ بها أقلُّ صفاتها   أن تـكْثُرَ الحشراتُ في جَنَباتها
الخير عنها نازحٌ متباعدٌ   والشرُّ دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته   كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها
وتبيتُ تُسعِدها براغيثٌ متى   غنت لها رَقَصَت على نغماتها(٤)
رقص بتنغيص ولـكن قافه   قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذُبابٌ كالضّباب يسدُّ عَيْـ   نَ الشّمس ما طَرَبى سوى غُنَّاتها
أين الصوارمُ والقَنَا من فَتْكها   فينا وأين الأسْدُ من وثبَاتها ؟

---

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللآلىء.
(٢) الرشف : المص .
(٣) هو على بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ ه .
(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيشٌ تطيرُ نهارَها　　مع لَيْلها ليست على عاداتها
شوكاتها فاقت على سُمرِ القنَا　　فاعجَب لِشِدة فتكها وثباتها
وبها من الجُرْذان ماقد قصَّرت　　عنه العِتاق الجرْدُ فى حَمَلاتها[1]
ولها زنابير تُظَنُّ عقاربا　　لا برء المَسموم من لدغاتها
ولها عقاربُ كالأقارب رُتَّعٌ　　فينا حمانا الله لدغ حُمَاتها[2]

١١ — ابن سعيد المغربى[3]

قال يصف الجيزة :

إن للجيزة فى قلبى هوًى　　لم يكن عندىَ للوجه الجميل
يرقصُ الماء بها من طربٍ　　ويميل الغصن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها　　فلذا تصفر فى وقت الأصيل

١٢ — محمد بن سليم المصرى[4]

كتب إلى السراج الوراق فى حمار له سقط فى بئر فمات :

يفديك جَحْشُك إذ مضى مُتَرَدّيًا　　وبتالدٍ يُفْدى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى　　تبنا وراح من الظما كالتالف
ورأى البؤيرة غير خافٍ ماؤها　　فرمى حشاشة نفسه لمخاوفِ
قوم يموت حمارهم عَطَشاً لقد　　أزروا بحاتم فى الزمان السالف

---

(١) العتاق : الخيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .
(٢) الحمات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .
(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .
(٤) هو محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم المصرى المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

١٣ — ابن الجنان[1]

قال يصف روضاً على نهر :

ودوحٍ بدت معجزاتٌ له   تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنَه   فمال يقبِّل شكراً يدَيْه
وكفُّ الصَّبا صنعت حَلْيه   فأضحى الحمامُ ينادِى عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضَّنَى   فحلَّ طبيبُ الدياجى لديه
وجاء النسيمُ له عائداً   فقام له لاثِماً معطفيه

١٤ — محمد بن الحسين[2]

قال فى نوح الحمام :

ولقد رأيت الأراك حمامةً   تبكى فتُسعِدُنى على أحزانى[3]
تبكى على غُصْنٍ وأندُبُ قامةً   فجميعُنا يبكى على الأغصان
صَرَعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّلتْ   من بعده بالنوح والأحزان
تخشَى من الأوتارِ وهى مَرُوعَةٌ   منها ، فلِمْ غَنَّتْ علَى العيدان ؟

---

(١) توفى سنة ٦٧٥ هـ .
(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفى سنة ٦٥٨ هـ .
(٣) الأراك : شجر يستاك به .

١٥ — محمد بن الحسن الصائغ العروضى (١)

قال يتشوق — وهو بمصر — إلى دمشق :

لى نحو ربعك دائماً يا جلّقُ شوقٌ أكادُ به جوًى أتمزقُ
وهمولُ دمع من جوًى بأضالعٍ ذا مُغرِقٌ عينى وهذا محرقٌ (٢)
أشتاقُ منك منازلا لم أنسها أنّى ؟! وقلبى فى رُبُوعِكِ موثقُ

١٦ — ابن دقيق العيد (٣)

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمّتى وقرّبَ منى فى صباى مَزارَه
فآخُذ من عصرِ الشّبابِ نشاطَه وأخذ من عصرِ المشيبِ وقاره

وقال فى الشكوى :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدّةً وقعتُ بها فى حَيْرةٍ وشتَاتِ
فإنْ بُحتُ بالشّكوى هتكتُ مرُوءتى وإنْ لم أَبُح بالصَّبرِ خفتُ مَمَاتِى
وأَعظمْ به مِنْ نازلٍ بمُلِمَّةٍ يزيل حيائى أو يزيلُ حياتِى

وقال فى بعض الوزراء :

مقبلٌ مدبرٌ بعيدٌ قريبُ محسنٌ مذنبٌ عدوٌ حبيبُ
عجبٌ مِن عجائبِ البَرِّ والبحـــر ونوع فَرْدٌ وشكلٌ غريبُ

---

(١) توفى سنة ٧٢٢ هـ . (٢) الجوى : شدة الوجد .
(٣) هو محمد بن على بن وهب الإمام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .

١٧ — مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بعثَ النسيمُ رسالةً بقُدومه ... للرّوْض فهْوَ بقُرْبه فَرْحانُ
ولِطيب ما قرأ الهَزارُ بشدوه ... مضمُونَها مالت له الأغصانُ(١)

وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تقْرَب الشرْعَ إذا لم تكن ... تَخْبُرُه فهْوَ دقيقٌ جليلْ(٢)
ووَكِّل العِزَّ الذى وَجْهُهُ ... على جناحِ الأمْرِ أقوى دليل
ولا تَمِل عنه إلى غيرهُ ... وحسبنا اللهُ ونعم الوكيل

وقال فى روضة :

أرْضٌ كساها القَطْرُ حُلّةَ سُنْدُسٍ ... رُقِمَتْ لها طُرَرٌ من الغُدْرَان(٣)
وَفْدُ النسيم أضاع نَشْر رياضِها ... فالوُرْقُ تَنْشُده بكلِّ مكانِ(٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كمالَ الدين يا مولاى يا مَنْ ... يعُزُّ البحرَ فى بَذْل النوال(٥)
أتيت لحاجة ؛ فاغنَمْ ثنائى ... عليك بها وشُكْرِى وابتهالى

---

(١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تخبره : تعلمه . دقيق : أمر غامض .

(٣) القطر : المطر . والمعنى أن القطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه الحلة طرراً ، أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .

(٤) أضاع : إما ضيعه أو أفقده ، وإما بثه فى الجو ، وضاع الطيب : انتشرت رائحته . والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .

(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا تجعلْ سواكَ لها ؛ فإنِّى ... عليكَ بِنُجْحِها وَقَعَ اتِّكالى
أيَجْمُل أن يَقُول الناسُ : إنى ... أتيتُ لحاجة لم تَقْضها لى ؟
وأُصْبِحُ بينهم مَثَلًا لأنى ... أتانى النقصُ من جِهَةِ الكمالِ

وقال فى رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نأيتم فلا قلبى عن الحزْن مُقصرٌ ... عليكم ولا جفنى يجِفُّ له غَرْب(١)
وأفلاكُ لذَّاتى تَعطَّل سَيرُها ... وهل فلكٌ يسرى إذا عدمَ القُطْبُ(٢)

وقال فى التشوق :

لا تبعثُوا غيرَ الصَّبا بتحية ... من أرضكم ! فلها على جميل :(٣)
خاضت دموعَ العاشقين وعَرّجت ... عنهم إلىَّ وثوبها مبْلول

وقال فى الغزل :

وعيرنى بالشيب قوم أُحبهم ... فقلت وشأن العاشقين التجمُّلُ :
بعثتم إلى رأسى المشيبَ بهجرِكم ... ومهما أتى منكُم على الرأس يُحمل

وقال فى ليلة سكر :

وليلة بت أُسقى فى غياهبها ... راحاً تسل شبابى من يدِ الهرَم(٤)
ما زِلت أشربُها حتى نظرتُ إلى ... غزالة الصُّبح ِترعَى نرجسَ الظُّلَمِ (٥)

---

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .

(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهى ندية بليلة .

(٤) الغياهب ، الظلمات . الراح : الخمر .

(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لمّا جَسَسْتُك بالمديح ولَمْ أَكُنْ   أدرى بأنك خاملٌ فى الناس (١)
ناديْتُ لمّا أَنْ جَسَسْتُكَ بالهجا :   أَكليب خذها من يَدَى جسّاس !

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لاحظَ المنثورُ طَرْفَ النَّرْجسِ الْـ   ـمُزْوَرِّ قال ، وقولُه لا يُدْفَعُ : (٢)
فَتِّحْ عُيونك فى سِوَايَ ؛ فإنَّنى   عندى قُبَالَةَ كلّ عين إِصْبَعُ

وقال فى روضة :

أيا حُسْنَهَا من روضة ضاعَ نَشْرُها   فنادتْ عليه فى الرياض طيورُ (٣)
ودُولابُها كانت تَعُدّ ضلوعُه   لكثرة ما يبكى لها ويَدُورُ

وقال أيضاً :

لِمَ لا أميل إلى الرّياض وحُسْنها   وأعيشُ منها تحت ظلّ ضَافِ (٤)
والزَّهْرُ يلقانِى بِثغْرٍ باسمٍ   والماء يَلْقانى بقلبٍ صَافِ

---

(١) الجس بالشىء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس ابن مرة . سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضاً صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنثور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد ، قبالة الشىء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت رائحتها الطيبة . الدولاب . المنجنون التى تديره الدابة :

(٤) الظل الضافى : المتسع .

١٨ — الشهاب الخفاجى (١)

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبى (٢) :

حتَّام يَغزُونى صُدودُهْ ... والصبرُ قد كَثُرت جنودُهْ (٣)
لم أدر : فاترُ جفْنِــهِ ... والخصْرُ أسْقم أم عُهودُهُ (٤)
نشوانُ يعبث بىّ كما ... عبثت بآمالى وعُودُهُ (٥)
لوْلا ميــاه الُحسْن جا ... لتْ فيه لاحترقتْ خدُودُه
كالصَّبّ لولا دمعــه ... يَهْمى لأَحرقَه وقُودُه (٦)
يُخفِى الهوَى وعيــونُه ... بغرامه المُضْنِى شُهوده
فسقى رياضَ الُحسْن من ... دمعى حياً يَهْمى مديده (٧)
زمنٌ بِجِيد اللّهْو قدْ ... نُظِمتْ على نَسَقٍ عقوده (٨)
إذْ دوْح أُنسى يانعٌ ... بكئوسنا انفتحتْ وروده (٩)
والــكأس نجم لاح فى ... فلكِ المسرّة لِى سُعُودُه

(١) ولد فى سرياقوس وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد على هذه القصيدة بقصيدة تأتى فى ص ١٣٩ .

(٣) حتام أصلها : حتى ما . فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى : يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . ويعبث بى : يلعب بى .

(٦) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

يَصْفُو فيُحْلى ذِكْرَ مَن ... قد زين الدّنيا وُجوده
ذاكَ ابنُ قاسمٍ ٱلّذى ... ما زَال فى تَعَب حَسُودَه

١٩ — السيد عبد الرحيم العباسى

قال يصف ضعفه :

أرْعَشَنِى ٱلدهرُ أىَّ رعْش ... وكنتُ ذا قوة وبَطش
قد كنتُ أمشِى واستُ أعْيا ... فصِرتُ أعيا ولستُ أمشى

وقال يشكو من الأصدقاء :

مالى أرى أحبابَنا فى الناس ... صاروا كمثْلِ حَبابِنا فى الكاس(١)
بينا يَرُوقُك عند أوّل نَظْرةٍ ... كاللُّؤلُؤ المتناسقِ ٱلأجْنـاس
فإذا أعدْتَ الطرفَ فيهمْ لم تجِد ... شيْئاً ؛ وصار رَجاؤُهم كاليَاس

وقال يصف الصداقة الحق :

لست عن ودّ صديقى سائلا ... غيرَ قلْبى فهو يَدْرى ودَّهُ
فـكما أعلَم ما عندى لهُ ... فـكذا أعلم مالى عنْدهُ

وقال فى لئيم ابتدأه بالتحية :

رأيتُ لئيمَ قومٍ فى ممَرٍّ ... وبين يدَيْه أشخاصٌ لِئامُ
فسلَّمَ منْ جهالتِه ابتِداءً ... فقلتُ لهُ : متَى كَسَد السَّلامُ ؟(٢)

---

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .
(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال فى الحكمة :

حالُ المُقِلِّ ناطقٌ عمّا خَفِى منْ عيْبِه
فإن رأيت عارياً فلا تَسل عن ثوْبه

٢٠ — محمد بن القاسم الحلبى

قال يجيب الشهاب الخفاجى على قصيدته التى تقدمت(١) :

للظبى لفتته وجيده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذى فى ثغره منه نضيده(٢)
وبوجهه شرك العقو ل ؛ فأى عقل لا يصيده ! ؟(٣)
فى كل يومٍ للهوى من حسنه معنًى يزيده
يستوقف الأبصار حـ ـتى لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم فى الجما ل فنال منه ما يريده
ما زال يسطو فى الورى من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا أنه بالأجر آثره شهيده
يبدى الصدود وكلما صانعته عنه يعيده(٤)
أتراه يجحد ما لقيـ ـت به وهل يغنى جحوده
وهو النهار إذا بدا من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا « شها ب » الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو فى سما ء المجد زينها وجوده ؟

(١) انظر ص ١٣٧ .
(٢) النضيد : المتسق المرصع .
(٣) الشرك : المصيدة .
(٤) صانعته عنه : أى حاولت أن أرده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعت المطا ميع عنه واستعفى حسوده
وقّاد فكر ؛ أى خطب ٍ ليس يُطفئه وقُوده [(١)]
كرمت له همم إلى غير العلا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما ن بما ينمقه فريده [(٢)]
من كل سجع من مزا يا الحسن قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لَبيده [(٣)]
قد كنت أجهد فى ابتغا ء لقاء أيام ٍ تفيده
حتى وفَتْ لى بالذى قد كان فى أملى وعوده
فلقيتُه البحر الخضمّ يفيضُ للعافين جُوده
متدفقاً بالفضل تخشَى أن يُفرِّقها وفُوده
مولاى ؛ عذراً إنها من خاطر قد جفّ عوده
بعدت بقول الشعر فى عهدِ الصبا حيناً عهوده
لبى دُعاك ؛ وأىُّ مو لًى لا تُلَبيه عبيدُه ؟
ما ضرّه عيدٌ نأى ما دام منْ لقيَاك عيده

٢١ — أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

بأبصارنا وجهك المذهب يكاد سنى برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى وشمسُ جمالك لا تغرب

---

(١) وقوده : انقاده .
(٢) الفريد : صغار اللؤلؤ تفصل بين العقد المنظوم والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه الممدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .
(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك فى الماء مستودع　　وأشربَه كل من يشرب
وفى كل عين وقلب به　　مشيراً لك المنزل الأرحب
وذاتك جنة أهل النهى　　ونفسك عنصرها أطيب
فمن غير نطقك لا نشتفى　　ومن غير ذاتك لا نطرب
وكم لك من رتب فى العلا　　تعالى العلا إذ لها ينسب(١)

٢٢ — عبد الرحمن بن عماد الدين

قال فى الموت وطلب الرحمة :

قد شاب فودى حين شاب فؤادى　　فكأنما كانا على ميعاد(٢)
حسن الخواتم أرتجى من محسِن　　قد منّ لى قدماً بحسن مبادى
وعمادى التوحيد فهو وسيلتى　　فى نيل ما أرجوه عند معادى(٣)
إن قيل : أى سفينة تجرى بلا　　ماء وليس لأهلها من زاد
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده　　تسع العباد ، فمن هو ابن عمادِ

٢٣ — الأمير محمد بن منجك

قال متغزلاً :

تناهى عنده الأمل　　وقصر دونه العذل(٤)
رشاً يفتر عن بَرَد　　تكاد تذيبه القبل(٥)

---

(١) أى أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .
(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلى الأذن .
(٣) المعاد : الحياة الأخرى .
(٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .
(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبى إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك ضحكا حسناً . البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان ، القبل : جمع قبلة .

يخامرُ عطفه ثمَلٌ يميل به ويعتدل (١)
يُمثِّلُ ما يرُوقُ لنا بصفحةِ خدِّه الخجَلَ
فليتَ به كما اتَّصلَتْ حشَاى الطَّرْفَ يتصلُ (٢)
إذا مَا الخِدْرُ أبْرزهُ تناهَبُ حُسْنَهُ المُقَلُ (٣)
لقَدْ أغراهُ فى تَلَفِى شبابٌ ناضِر خضِلُ (٤)
وقدٌّ حَشْوُه هَيَفٌ وطَرْف ملؤُه كَحَل (٥)

٢٤ — إبراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة فى الغزل :

حدَّثَتْ بَانَةُ الحمى عن صبَاها عن ثَنيَّات مَكَّةٍ عَنْ صَفَاهَا (٦)
أنَّ عصْرَ اللِّقَاء آنَ وَوَافَى ، وزَمَانَ النوَى انقَضَى وتَنَاهَى (٧)
ونَسيم الصَّبَا يؤدِّى الأَمَانَا تِ إلى أهْلها كما قدْ روَاهَا
كمْ نسيمٍ سَرَى فسَرَّ قُلُوبًا شَفَّهَا البُعْدُ والنَّوَى فشَفَاهَا (٨)

---

(١) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب . والثمل : السكر .
(٢) أى فليت عينى تراه وتتصل به ، كما اتصل به قلبى عشقاً ومحبة .
(٣) الخدر : ستر عد للمرأة من ناحية البيت . وتناهب أصلها ، تتناهب ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، ويجوز أن تكون فعلا ماضيا . أى نهبت .
(٤) الخضل ، الندى المبتل ، يريد النعومة واللين .
(٥) القد : القامة . الهيف : ضمور البطن والخصر
(٦) البانة : واحدة البان ، شجر معروف . الحمى : ما يحمى ويحفظ من كل شىء . الصبا : ريح . ثنيات مكة : جبالها . والصفا من مشاعر مكة فى جنوب المسعى .
(٧) آن : حان وقرب . وافى : أتى . تناهى : انتهى .
(٨) شفها البعد : هزلها .

تعرِفُ العاشـقين منها نسِيمَا ت ، وَهُمْ يعْرِفونَهَا بشَذَاها[١]
إنّ أيدى الفراق جارَتْ عَلَيْنا فى قضَاء فَحَسْبُها وكفاها
آه وَاوَحْشَتِى لأحْشَـاء قَلْبى وَقَلِيلٌ قَوْلى على البُعْد : آهَا

٢٥ — نور الدين العسيلى

قال يصف دولابا[٢] :

ودولَابٍ مَرَرْت به سُـحَيْرا يَئِنُّ كأنّه الصّبُّ المَرُوع[٣]
غدَتْ أضْلَاعُه تنهد سُـقْماً ويفنى جسْمَهُ صَبُّ الدُّموعِ[٤]
بدور كمَنْ أضلَّ الإلْفَ منْهُ وذَاق تشتت الشمل الجميع[٥]
فقلت له : فدَيْتُك منْ كئيب كسَاه الهمُّ أثوابَ الخُشوعِ
علام أراك تبكى كلَّ وقتٍ وتهتِفُ فى المنازل والرُّبُوعِ[٦]
فقدْ قرّبت لى حُزْناً بعيـداً ونحّانى نُواحُك عن هُجُوعى[٧]
فقال : أما علمت بأنّ مِثلى خليق بالصّـبَابة والوُلُوعِ ؟[٨]
فإنى كنت فى روض رفيهاً أبيتُ مِنَ الأزاهر فى جُموعِ[٩]

---

(١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .
(٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهى كلمة دخيلة عربها العرب .
(٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع من راعه الهم وأفزعه .
(٤) صب الدموع : انسكابها .
(٥) أضل الإلف : فقده . تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
(٦) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .
(٧) نحانى : أبعدنى . الهجوع : النوم ليلا .
(٨) الصبابة . رقة الشوق وحرارته .
(٩) الرفيه : المستريح المتنعم .

وَلِى فى المُنْتَمى أعْراقُ صِدْقٍ أُصُولُ أنْجبتْ أزْكَى فرُوع(١)
إذَا مَا الوَرْدُ قَابَلَنِى وَحَيَّا تَضَرَّجُ وجْنَتَاهُ بالنَّجِيع(٢)
ويَصْفرُّ البَهارُ لَدَىَّ خوْفاً كصُفْرَة عاشِق صَبٍّ مَرُوع(٣)
وإنْ قصَدَتْ بنُو الآدابِ رَبْعِى أجُودُ مِن النِّثارِ على الجَمِيع(٤)
فقيَّضَنِى الشَّقاء إلَى غَبِىٍّ شديدِ البطش جَبَّارٍ قَطُوع(٥)
فأقَانِى عَلَى رَأسِى صَرِيعاً وأنتَ مشاهِدٌ حالَ الصَّرِيع
وقَطَّع لُطفَ أوْصَالى بعُنفٍ وصار يَدُقُّ عَظْمِى فى ضُلوعى(٦)
فَصرتُ أرَى الَّذِى قدْ كانَ دُونِى أنَافَ، وصَار ذَا شأوٍ رَفيع(٧)
عَلى قلْبِى أدُورُ عَنًى وَأبْكِى عَلَيْه أسًى كَمِقْلَاةٍ هَلُوع(٨)
فكيْفَ ألامُ إنْ أدْمَنْتُ نَوْحِى وَجُدْتُ بِمَدْمَعِ الطَّرْفِ الهَمُوع(٩)
وحَالِى نَاصِحٌ أبْناءَ جِنْسِى؛ فَلَا تَعْتَدَّ بِالجِذْعِ المَنِيع(١٠)
فإنَّ الدَّهْرَ كالصَّيَّاد كَيْداً وأسْبَابُ القَضا شَرَكُ الوُقُوع(١١)

---

(١) المنتمى: النسب والأصل.

(٢) النجيع: الدم الضارب إلى السواد.

(٣) البهار: نوع من النبات يسمى العرار.

(٤) ربعى: دارى. النثار: المنثور، يريد نثار الأزهار.

(٥) فقيضنى جاء بى.

(٦) لطف أوصالى: دقة مفاصلى.

(٧) أناف: ارتفع. الشأو: الغاية. والرفيع: العالى.

(٨) العنا: أى العناء، وهو هنا الخضوع والذلة. والمقلاة: ناقة تلد واحدا، ثم لا تحمل بعده، وامرأة لايعيش لها ولد، الهلوع كثير الجزع.

(٩) أدمنت نوحى: أدمته. الطرف الهموع. العين الكثيرة سيل الدموع.

(١٠) الجذع: ساق النخلة. والمنيع. القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه.

(١١) الشرك: حبائل الصائد، الواحد شركة.

٢٦ — الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولَاقَ وأُنسِي بِهِ   حَكاكَ مِنْ شوّالَ يَوْمُ الهِلال
وأقبَلَ الليلُ جَنُوباً ، وَمَا   مِنْ عَارضٍ إلا نسيمُ الشَّمالْ(١)
يا عَارِضاً أوْجبَ للنيل مَا   سَلْسَلهُ ، وهْوَ طلِيقُ المَجالْ(٢)
وقَهْوَةً تَنْضَحُ مِسْكاً ، وَلا   بِدْعَ ، فِفِي الفنْجَانِ شَكلُ الغزَالْ(٣)
حَبَابُهَا مِنْ فوقِها مانعٌ   نِفَارَهُ ؛ فَهْو شِبَاكُ اللآلْ(٤)
تُدِيرُهَا هيْفاء مَمْشُوقةٌ   خَوْدٌ تَثنّتْ فى بُرُودِ الدّلالْ(٥)
كادَ حِجَا مَنْ أقْبلتْ نحوَهُ   يَذهَبُ مِنْ رَنّاتِ تِلكَ الحِجَالْ(٦)
بِغُرّةٍ أوْ طُرّةٍ وَزّعتْ   أفكارَنا بينَ الهُدَى والضَلالْ(٧)
تَقولُ للشمس ، وقدْ أقبلتْ :   تَلَثّمِى ما أنت إلّا خيَالْ

---

(١) عارض : مانع يمنع من المضى .

(٢) سلسله : أجراه فى حدور . طليق المجال : غير مقيد فى جولاته وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الخمر . لا بدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبى يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الخمر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فإن صورة غزاله على الفنجان الذى فيه الخمر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التى تعلوه . واللال : اللآلى .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة فى تكسر ؛ كأنها مخالفة ليس بها خلاف

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطرة : الناصية

٢٧ — الشيخ عبد الله الشبراوى (١)

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ؛ وبعد أن بات ليلة وجد مذبوحاً :

أيها القومُ وَيْحكُمْ ! قد هَدَمْتُمْ ... بنيـةَ اللهِ ، واتَّهمتُمْ عِبادَهْ (٢)
وذَبَحْتُمْ هذا المهـذَّبَ غَدْراً ... وقطَعتُمْ بِغِلْظَـةٍ أَوْرَادَه (٣)
ثم نُحْتُمْ عليه زُوراً : ولـكنْ ... ذاكَ أمر قَضَى الإله نَفَادَه (٤)
أيها النائحون مَهلا ! فمَنْ ذا ... نالَ من دهره الخئون مُرادَه
لا تُطيلوا على النقيبِ نحيباً ... فهو بالذَّبح نال أعلَى سَعادَه (٥)
كم نبيّ وصـالِح وولىّ ... ماتَ قتلا ، ونال أجْرَ الشهاده
هذه سُنَّةُ الأماجِدِ قدْماً ... كحُسَيْن وسعْدِ بْن عُبادَه
حازَ هذا الشريفُ لُطفاً من اللـ ... ـهِ وساوَى فى حَوْزِه أجداده
لوُفورِ الاجور والرتبةِ العلْـ ... ـيا وحُسْنَى من ربِّنا وزِيادَه
يا خليـلِى لا تأسفنَّ وأرِّخْ ... قَدَّرَ اللهُ قتـلَهُ وأراده

---

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .
(٢) بنية الله : ما بناه الله .
(٣) الغدر : ترك الوفاء ، الوريدان · عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود لا أوراد كما جمع الشاعر .
(٤) نفاده : فناءه ، يريد وقوعه .
(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما . فـكان جزاؤه الجنة . ونال سعادة الدار الأخرى . وهى الباقية الخالدة .

وقال فى بعض أسفاره متشوّقاً إلى مصر :

أعِدْ ذِكْرَ مصرٍ ؛ إنَّ قَلْبِى مُولعٌ بمصرَ ، ومَنْ لى أنْ ترَى مُقْلتِى مِصرا ؟(١)
وكرّر على سَمْعِى أحاديثَ نِيلِها ؛ فقد ردَّتِ الأمواجُ سـائلَهُ نَهْرَا
بلادٌ بها مدَّ السماحُ جَنَاحَــهُ وأَظْهرَ فيها المجدُ آيَتِه الـكُبْرَى(٢)
رُوَيْداً إذا حدَّثْتَنِى عن رُبُوعِها فتطويلُ أخبارِ الهوَى لذةٌ أُخْرى
إذا صاحَ شُحْرورٌ على غُصنِ بانَةٍ تذكَّرتُ فيها اللحظَ والصَّعْدَةَ السَّمْرَا(٣)
عَسَى نحوَها يَلوِى الزمانُ مَطيَّتِى وأَشهدُ بعد الـكَسْرِ من نِيلها جَبْرا
لقـد كان لى فيها مَعَاهدُ لذة تقَضَّتْ وأَبْقَتْ بعدَها أنفُساً حَسْرَى

---

(١) مولع : مغرم . المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها .
(٢) السماح : الجود والـكرم كالسماحة .
(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قدّ الفتاة .

(ب) النـــثر

أولا — النـــثر الفنى

١ — الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى(١)

قال يصف بستانا :

« فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلوّن ، تنساب جداولُ جوانبه كالأراقم(٢) ، ويصفّق النهر لرقص الغصون على غناء الحمائم ، ويهبّ النسيم فينقّطها من الزّهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاولَ فيه من البان كلُّ قدٍّ مخطوف ، وخجل فيه من الوَرْد كلُّ خدٍّ موصوف ، فأجلسنا النرْجس على عينيه وأحداقه ، وظلّلنا الغُصنُ بستائر أوراقه ، وحّيا منثورُه الأبيض والأزرق بالأصابع ، وفتح كفوفه الصُّفر وهو منا غـيران فاقع(٣) ، وجرى النهر بين أيدينا متواضعاً بسجوده ، وشبّ الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده ، قد رق نسيمه وراق ، وجذب الحمائم إلى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثا فطابت من شذاه المسالك

وقال :

إذا ما دنا فصـل الربيع ؛ فـكله ثغورٌ لمـا قال النسيم ضواحك

---

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبى حيان اللغوى وغيرهما ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفى سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأراقم : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديدها .

قد شابَ ذلك الزهرُ قبل شبابه ، وغنّاه الطيْرُ فتساقَطَ من طربه وإعجابه ، ومرّ عليه النسيم بذيله البليل ، فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل . فيالها روْضة صدحت أطيارُها فأطربت الأشجار وألبستنا ثوبَ الخلاعة عند خلع العِذار :

انظر إلى الروْض النضير كأنما نُشِرَتْ عليه ملاءةٌ خضراء
أنّى سرحْت بلحظ عينك لا ترى إلا غديراً جَال فيه الماء
وترى بنفسك عِزّةً في دوْحه إذ فوق رأسك حيث سِرتَ لواء(١)

والماء قد رق وراق ، وتسلسل وهو فى الإطلاق ، وجرى فتكسَّر ، وصفا ولم يتغيّر ، وصاحَبَ النَّسمات وحالفَها ، وقاطع الأغصان وخالَفَها ؛ وأتتْه الرياحُ للزيارة من شعابها وهضابها ، وسرق حُلِيّ الأغصان فضمّها فى صدره وجرى بها ، والعيونُ ترمقه فى جريه ومسيره ، وهو لا يفترُ عن تصفيقه وخريره ؛ حتى خشينا عليه التكسير من التمادى ، ورجونا من ماء عينيْه ريّ كل صادى(٢) .

يا حسنه من جدول متدفقٍ يلهو برونق حسنه من أبصرا
ما زلْتُ أُنذره عيوناً حوله خوفاً عليه أن يصاب فيعثُرا
فأَبى وزاد تمادياً فى جريه حتىَ هوى من شاهق فتكسَّرا(٣)

ولم يزل الطير يسعى بين النهر والغصن فى الاتفاق ، ويكرِّر ألحانه ويراسل فى الأوراق ، ويجتهد فى الصلح ويدعو إليه ، ويحرص على الوفاء ويحرِّض عليه .

---

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش ، لما يظلك من شجر عظيم كالألوية فى مقدمة الجيش .
(٢) الصادى : العطشان .
(٣) الشاهق : المكان العالى .

وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا ؛ فأجدَتْ مواعظُه وكان قلبُ النهر صافيا وقريبا . وقامَ النِّسْرين(١) من السرور على ساق ، وجذب كلَّ صَدوحٍ للغناء بالأطواق ، وتبسمَتْ من الأقحوان(٢) الثغور ، ونسمت نفحاتُ المسك والكافور واعتلَّ النسيمُ غَيْرةً وتغيَّر ، فتولّى وهو بذيله يتعثر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيولا على الأغصان فتعتنق اعتناق المواصل الغضبان :

في روْضةٍ علّم أغصانَها أهلَ الهوَى العذريِّ كيفَ العناقْ
هبَّتْ بها ريحُ الصَّبا سُحْرةً فالتفت الأغصان ساقاً بِساق

وبكى النهرُ على مُواصَلَة الغُصون ، وخرّ لديها وفاضتْ منه العيون ، ومثّلَها في قلبه شغفاً وحباً ، وصار بها من دون الصَّبَا صَبّا :

والنهر قد عَشق الغُصونَ فلم يزل أبدًا يمثّل شخصَها في قلبه
حتى إذا فطَن النسيم لجاءه من غيْرة فأزالها من قرْبه
وغدا عليه مُهَيْنِمًا بعتابه سرًّا لجعّد وجْهَه من عتْبه(٣)

فلم يَزْجُر النهرَ عن حُبِّ الغُصون زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يُجِب العَذل إلا بدمعه السائل — وصار يردّ بَرْد الهوَى بحرّ هواه العُذرى ، وغدا ساعياً بسعادة الأغصان يجرِى ، فقنع منها بأدنى وصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخيال :

---

(١) النسرين : بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة .

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهرة الفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفي .

ونَهْر بحبّ الدوْح أصبحَ مُغرماً ... يروحُ ويغدُو دائمًا بوصالها
إذا أبعدت عنه شكا بخريره ... جفاها ، وأضحى قائما بخيالها

٢ — القلقشندى(١)

من رسالة للقلقشندى عن الملك الناصر فرج بن برقوق إلى صاحب فاس فى ذكر وقعة تيمورلنك :

وتحركنا من الديار المصرية فى جيوشٍ لا يأخذها حصر ؛ ولا يلحقها هصر(٢) ولا يظن بها على كثرة الأعداد كسر ، ولم نزل نحث السير ونسرع الحركة للقاء العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها(٣) ، مستمطرين النصرة فى أوائل حركتنا وأواخرها ، وانضم من عساكر الشام وعربانها ، وتركمانها الزائد على العدّ وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ، وأقبل القوم فى لفيف(٤) كالجراد المنتشر ، وأمواج البحر التى لا تنحصر : من أجناسٍ مختلفة ، وجموعٍ على تباين الأنواع مؤتلفة . وتراءى الجمعان ، فى أفسح مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان . واعتقد الفريقان

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن على القلقشندى ، صاحب كتاب « صبح الأعشى فى كتابة الإنشا » ولد فى قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت عربى ، وقد تأدب فى القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبجلا حتى توفى سنة ٨٢١ هـ .

(٢) الهصر : الكسر . أى لا تلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفيف : أى جماعة فى جيش .

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والتقاء الصفوف والمناجزة(١) إذ ورد وارد من جهتهم يطلب الصلح والموادعة ؛ والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، فأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأى إصابة ؛ وكتبنا إليهم فى ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل فى الصلح وكف القتال
قلنا له : نعم الذى قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

٣ — القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر(٢)

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون(٣) ، وغدا جاذبا بضبع(٤) الشام ، وآخذا بمخانق بلاد الإسلام ؛ وشللا فى يد البلاد ، وشجاً فى صدى العباد ، تنقض ؛ من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ، وتربض بأرضه(٥) آساد تحمى تلك الآجام(٦) وتُفوِّق من قسيه(٧) سهام تصمى مفوِّقات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقة القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . توفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التى يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضاً من الكثرة .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحى والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٧) القسى ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

أموالهم وهم صابرون لا مُصابِرون . كم شكت منه حماة[١] قلةَ الإنصاف ، وكم خافته مَعَرّةُ وما من مَعَرّة خاف . ما زالت أيدى الممالك تمتدُّ إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جواره تلك الحصونُ والصَّياصى[٢] ، وتبكى بمدمع نهرها[٣] من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بمَدْمع العاصى ؛ حتى نبّه اللهُ ألحْظَ سيوف الإسلام من جُفونها ، وَوَفّى النُّصْرةَ ما وجب من دُيُونها . وذاك بأنّا قَصدْنا فسيح ربْعه ، ونزلْنا ونازَلْنا حمى صُقْعِه[٤] ، وختمنا بنصالنا على قلبه وسمعه ، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهى كالأنامل ، وتكاد بُرُوجه تُرى كالمطايا المُقَطَّرة[٥] وهى منها بمنزلة الزّوامل[٦] ؛ ما خَيَّمْنا به حتى استبَحْنا حمىّ تلك المدائن المكنىِّ عنها بالأرباض ، وأسَحْنا بساحتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض ؛ وأخذنا الثقُوب فى أسْوارٍ لا تُنقَضُ ولا يَنقَضُّ بُنيانُها المَرْصُوص ، ولا تقرأ المعاولُ ما لِخَوَاتِم أبراجها من نُقُوشِ الفُصوص ؛ ونَصبْنا عليها عدّة مجانيقَ[٧] حُملَتْ فى شواهق الجبال ، على رُءوس الأبطال فتغَيّظتِ السَّمْهرية[٨] أنّ الذى تقومُ به هذه تلك به لا تقوم ، وأن ما منها إلا له من الأيدى والرءوس مقامٌ معلوم ؛ وصار يرْمى بها كلُّ كمىّ مختَلِس وأرْوَع منْتَهِس[٩] ، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميه ؛ فشكراً لأسود

---

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .

(٢) الصياصى : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماه .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهى قطار .

(٦) جمع زاملة وهى الدابة التى يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل فى الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السمهرية : الرماح وهى صفة لها .

(٩) النهس : النهش ، والمنهس مشتق منه . المختلس : اليقظ المتحين للفرصة ليتمكن من القتل

حتى غاباتها تفترس ؛ إلى أن جَثَتْ أسوارُها على الركب وكانت سهامُ مجانيقها تميلُ من العجْب[١] فصارت تميد من العجَب[٢] ، وكانت تطلُبُ فصارت تهرب من الطلب الخ .

٤ — الإمام ابن حبيب الحلبي[٣]

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس فى البحر والنهر :

هزتنى رياح الأمل البسيط[٤] ، إلى امتطاء ثَبَج[٥] البحر المحيط ، فأتيتُ سفينة يطيب للسفر مثواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى علىَّ منه المعاطب[٦]
طين أنا ، وهو ماء ، والطين فى الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر[٧] وألواح ، تجرى مع الرياح وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادى[٨] بالملاح ، تخوض وتلعب ؛ وتردُ ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع[٩] وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسُكَّان[١٠] ومكانة وإمكان ، وجؤجؤ[١١] وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار[١٢] ، وجسم عار

---

(١) تميل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .

(٢) تميد من العجب : تضطرب وتتزلزل من الدهشة والتحير .

(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .

(٤) البسيط : المبسوط الفسيح .

(٥) الثبج : وسط الشىء ومعظمه .

(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .

(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٨) من يسوق الإبل ويغنى لها .

(٩) جمع قلعة .

(١٠) سكان السفينة : دفتها .

(١١) الجؤجؤ : الصدر .

(١٢) القار : الزفت .

عن الفؤاد ، وهو فى عين الماء بمنزلة السواد ؛ بعيدة ما بين السحْر[١] والنحر ، من أحسن الجوارى المنشآت فى البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تملُّ من سير النهار ولا من سُرَى الليل .

ما رأى الناس من قصور الما ء سواها يسير سير القداح[٢]

كأنها وعِلٌ[٣] ينحط من شاهق ، أو عرباض[٤] سابق يحثه سائق ، أو عقربٌ شائلة[٥] ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أعصم ، أو تمساح أو أرقم ؛ أو ظليم[٦] نفر فى الظلام ، أو جواد فرّ مستنكفاً من صحبة الأنام . حاكمها عادل فى حكمه ، عارف بنقض أمرها وبرمه ؛ يهتدى بالنجوم ، ويبتدئ باسم الحى القيوم[٧] ، يبرز من نواتيها[٨] فى جنود ، ويشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكثرون الصياح حتى كأن السّـ ـنَ تجرى من خوف ذاك الصياح

---

(١) السحر : الرئة .
(٢) جمع قدح وهو السهم ، أى تنطلق مسرعة .
(٣) الوعل : تيس الجبل .
(٤) العرباض : الغليظ من الإبل .
(٥) شائلة : أى رافعة إبرتها التى تلسع بها
(٦) الظليم : ذكر النعام .
(٧) القيوم : من أسمائه تعالى ، ومعناه : الذى لا ندله ، أو القائم بذاته .
(٨) جمع نوتى : وهو الملاح فى البحر .

٥ — شهاب الدين محمود الخفاجى[١]

« المقامة الساسانية »

حدثنا مالك بن دينار ، عن مُسافر بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابُه لا يطار ؛ وثمراته الجنيَّةُ تُجْنَى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناسُ ناس والديار ديار ؛ والدهر غرٌّ لم يفطُنْ لتلوُّن الليل والنهار :

ولم أر يوماً فى ظـلام مَتَارِقى شهاب مشيب لاح فى الإثر منقضًّا

فسِرت فى الأرض لأنظر آثار رحمـته ، وأرى مآثر الطراز الأول فى أعلام حلته ؛ فإن من جدَّ وجَد ؛ ومن توانى فَقَدَ فقد ؛ رافعاً عصا التَّسيار ؛ على كاهل الاعتبار ؛ رافضاً الاستراحة فى مهد الدعة ؛ مشيعا قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطماً أملا عن دَرٍّ أنس ارتضعه . أضرب كرة الأرض بصـولجان الهمة ؛ لا أعبأ بقامة غير قائمة وهمة همة[٢] أتدرع بُرْد الليل ؛ لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير ولم أقل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور ، وورق جف فألوت به[٣]

---

(١) ولد فى سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالاستانة وكان من رجال اللغة والأدب ، وله تواليف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشيخ الفانى . أى همة ضعيفة .

(٣) ألوت به : أى طارت به . والصبا والدبور : ريحان .

الصَّبا والدَّبور . كأنني على غُصن بانةٍ خَضل(١) تَنْذِبه ريح الصَّبا هنا وهنا أو قَذَى في عيون البلاد ؛ أو عَيْرٌ شرُود ترميه الروابى للوهاد(٢) :

كأنى من الوَجْناء فى مَتْن موْجة رمتْنى بحارٌ ما لهنَّ سواحل(٣)

حتى أتيت كُورة خراسان(٤) ، فإذا بها قَيْلٌ(٥) نَصَبَ عرْضَه لِسهام الهوان ، مقلِّداً فى ترجيح البخْل مذهبَ سهل بن هارون ، كأنه لم يَسمع قوله تعالى (وَمَنْ يُوق شُحَّ نَفْسِه فأُولئك هُمُ المُفْلحُون) فطويتُ حديثَه على عَرِّه(٦) ، وأتيته لأقف على جَليَّة أمره ، فلما جُسْتُ خلالَ إيوانه ، قرأتُ عُنوانَ حاله على وُجوه غلمانه وسمعتُه يقول لِمَنْ أمترى أخلاف درَّته(٧) ، وشبِع من خُلَّته وحَمْضه(٨) برؤية جَرَّته : يا هذا صناعتنُا واحدة ، لو لم تدرُج من عُشِّك كانت الراحة فائدة !

ثم قال لى : أىُّ البلاد تُهدى سلامَها ، وأىُّ زهرة تحيَّة فتحت لك النسماتُ أكمامَها ؟ قلتُ : الكنانةُ المُعزِّية ، والخطَّةُ التى هى فى حَضانة نِيلها مَحْميَّة ، رياضُها تَحيا بأنهاره ، وأصابعُه(٩) تُشير لكنوز خصْب تُستَخرج من معادن أقطاره ، إلّا أن أصابع الناس فى الراحة(١٠) والأيادى ، وفى أصابعه أياد(١١) وراحةً لكل

(١) الخضل : الندى المبتل .

(٢) العير : الحمار . والروابى : الأمكنة العالية . والوهاد : الأمكنة الواطية .

(٣) الوجناء : الناقة الشديدة .

(٤) الكورة : الناحية ، وتطلق على المدينة .

(٥) القيل : الأمير المتولى أمور الكورة .

(٦) العر : العيب والشر .

(٧) امترى : جذب الضرع للحلب . والأخلاف : جمع خلف ، وهو حلمة ضرع الناقة والدرة : اللبن أو سيلانه وكثرته .

(٨) الخلة : ما فيه حلاوة من النبات ، والحمض ما فيه ملوحة .

(٩) فى الأصابع تورية ، لأنها تطلق على الأصابع المعروفة ، وعلى أجزاء يقاس بها النيل .

(١٠) الراحة : الكف .

(١١) الأيادى هنا : النعم والآلاء .

حاضر وباد . فإن سألتَ عن حالى ففؤادى بها فؤادُ أُم موسى فارغٌ من آمالى . وما حالُ وردة فارقت نَسَماتِ القَبُول[١] ؟ فحداها السَّمُوم وقادها الذبول :

فتأملْ كيف يَغْشَى مُقلَةَ المجـدِ نُعاسُ ؟

فأما حالُ سكّانها ومَن ألقى جرانه بأعطانها[٢] ، فقد ذهب أرباب الهمم العالية ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرِّمم البالية ، رُوحُ الشوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ، وبعيْن الله ما يصنعُ الليلُ والنهارُ — ويسترُ الثوبُ والجِدار ، وما يستتر فى ضمائر البيوت ، وإن طال التحمُّلُ والسكوت . فكم بكت السماء أرضاً فقدتْ حبيباً ، وساعدتها سحب انتحبت بها نحيباً :

ولطَّمَتِ الخدودَ بها بروقٌ وشقَّقَت الرعودُ بها جُيوبا

فقل لمن افتخر بالعِظام ، ما وراءك يا عصام ؟

ولْنعطفْ على هذا النسق ، لبيان من بَقِيَ منهم طَبَقًا على طبق[٣] ، من أصناف لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرْسَم ولا تُحَدّ : من كل سائل بالإلحاح التّحَف ، أو دار بمزْمار ودُفّ ، أو تغنّى بأنكرِ الأصوات ، فَنَهَق إذ رأى شيطاناً يدّعى الكرامات يُقيم بها المعتزلىُّ دليلَ إنكار الكرامة ؛ ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامِل راية وعَلَم ، جعل القناعةَ عَلَمًا لسقوط الهِمَم . ومنهم من كَبِر وتكسَّرت قواريرُه[٤] وخبا نُوره حين هبّت أعاصيرُه ، وهو أعظمُهم جُرماً ، وأقلُّهم ديناً وحَزْماً ، حُمُرٌ

---

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبرت وتكسرت قواريره ، وهو من ألفاظ أهل بغداد ، كأنهم يعنون لرفعة الظهر .

مُسْتَنْفَرة ، يقرءون القرآن في بقاع مُسْتَقْذَرة ، بين رَهْطٍ لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمتثلون قول الله : « وإذا قرئَ القرآنُ فاستمعوا له وأنْصتوا لعلكم تُرحمون » .
وتُجَّار رأسُ مالهم الإفلاس ، يضربون الأخماس للأسداس(١) ، يُزَكُّون كَذِبَهم بالأَيمانِ الفاجرة ، فيربحون خَسَارة الدنيا والآخرة ، إن خاشنتَ أحدهم في تقاضيه ، بادر بالحلِفِ على دَيْنِه فيَقْضيه .

يقول : أستمع حَلْفَتِي كاذباً إذا ما اضطررْتُ ، وفي الحال ضِيقُ
وهل من جُنَاحٍ على مُسلم يدافعُ بالله ما لا يطيق(٢)

وقد فُقِدَ العلمُ لولا نفْحةُ أُنْس من نفَرٍ بقايا ، فتح الله بهم خزائنَ كنوز هي خبايا في الزوايا : من كل نَقِيِّ العِرض أبيضِ السجايا ، إذا تدنست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أبدتْ مآثرُهم نقصَ الزمان ففِي خَدِّ الربيع طلوعُ الورْد من خجل

حمت شوكتُهم رياضاً في رُبا الدين العوالى ، وأحيا الله بأنفاسهم العيسوية مَوَاتَ المعالى . ولما شرح اللهُ بهم صدرَ الدين ، وفتح ببصائرهم عيْن اليقين ، أيّدهم بأبناء الأعيان من أُمرائها فقالت(٣) الخلافة تحت أفْياء لِوائها ، حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتُوف ، وزهت جَنّةُ مثواهم تحت ظلال السيوف ؛ فصارت بهم الأطراف ، من مَفَازِهِ منازلِ الأشراف . ولهذا يشير البديع(٤) ، بقوله في معنى بديع :

قيل لى : لِمْ جلستَ في طَرَفِ القو مِ ، وأنت البديعُ رب القوافى

---

(١) يضرب أخماساً لأسداس : أي يسعى في المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٢) البيتان لابن الرومى ، ويرويان ببعض اختلاف في اللفظ .

(٣) قال يقيل : نام وقت القائلة ؟ الظهر .

(٤) هو البديع الهمذانى .

قلتُ : آثرتهُ ، لأن المناديـ ـلَ يُرى طرْزُها على الأطراف
وكفانى من المفـــاخِرِ أنّى نازلٌ فى منـــازلِ الأشراف

فَأَوَوْا من ذلك الظل لركن مُعْتَمَد ، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسنَد . متّعنا الله بهذه الدوْلة وجعلها أطولَ الدول عُمراً ، وأرفعها مَنَاراً وأعظمها قدْراً ، سماء مجدهم مُكللة بنجوم تهتدى بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانِى[1] ، والدهر لسعدهم من الخدَم ، وفيضُ أياديهم يُغْنِى عن الدِّيَم[2] ، وسُحُبُهم مُغْدِقة على الراجين بالكرم :

قلتُ للبرق إذ تألق فيها : يا زنادَ السماء مَنْ أوْراكا
إنْ تَشَبَّهتَ بالكرام وما قد كان من جُودهم فلستَ هُناكا

ومذ كَلّتْ دُهْمُ[3] الأقلام من المشْى فى الكتابة شكرتُ مشيَها على الرءوس ، وقلتُ لا عِطرَ بعد عَروس ، فقد جف القلم ، وكل شىء بلغ الحدّ انتهى وتم .

---

(١) العانى . الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة غالبا تكون بالمداد الأسود .

ثانيا — النثر العلمى

١ — الشيخ كمال الدين الدميرى(١)

قطعة من كتابه « حياة الحيوان » :

(الحَمَام(٢)) قال الجوهرى هو عند العَرب ذواتُ الأطواق ، نحو الفوَاخت(٣) والقُمَارىّ(٤) وساقُ حُرٍّ والقَطا والوَرَاشين(٥) وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث ، وعند العامة أنها الدّواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالىّ من أبيات :

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ   دعتْ ساقَ حرٍّ بُرهَة فترنَّما

والحمامة هنا : القُمْرية . وقال الأصْمَعِىُّ فى قول النابغة :

واحكمْ كحكم فتاة الحىِّ إذ نَظَرت   إلى حمـــام شراع وارد الثَّمَد(٦)
قالت : ألا ليتَما هــــذا الحمامُ لنا   إلى حمامَتنا أو نصــــفُهُ فقَــدِ
فحسَّــــبوه فألفَوْه كما زعمتْ :   تسعاً وتسعين لم ينَقْص ولم يَزد

(١) توفى سنة ٨٠٨ ه .
(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق
(٣) جمع قمرية بضم القاف .
(٤) ذكر القمارى .
(٥) مفردة ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .
(٦) الثمد الماء القليل .

هذه زَرقاء اليمامة نظرتْ إلى قَطا واردٍ فى مضيق الجبل ، فقالت : ياليتَ هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكمُلَ لنا مائة قطاة ؛ فاتُّبِعَت وعُدَّت على الماء فإذا هى ستٌّ وستون ، قال أبو عبيدة : رأَته عن مسيرة ثلاثة أيام ، وأرادتْ بالحمام القَطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموى : الدواجنُ التى تستفرَخ فى البيوت تُسمَّى حماماً أيضاً . وأنشد للعَجّاج :

إنى وربِّ البــلد المحرَّم والقاطنات البيتَ عند زمزم

* قواطناً مكةَ من وُرْق الحَمِ *

يريد الحمام : وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات . وربما قالوا حمام للمفرد . قال جِران العَوْد :

وذكَّرني الصِّبَا بعد التنائى حمامةُ أيكةٍ تدعو حَماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير : إن اليمام هو الحمام البَرِّىُّ ، الواحدة يمامة ؛ وهو ضروب . والفروق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرَها فيه بياضٌ ، وأسفلَ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه ، انتهى . ونقل النَّوَوى فى التحرير عن الأصمعى : أن كل ذات طوق فهى حمام . والمراد بالطوق الُحمرة أو الُخضْرة أو السواد المحيط بعُنق الحمامة فى طوقها . وكان الكسائى يقول : الحمام هو البَرِّى ، واليمام الذى يألَف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرىُّ عن الشافعىِّ : كلُّ ما عَبَّ وهَدَر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعَبُّ بالعين المهملة شدَّة جَرْع الماء من غير تنفُّس ؛ قال ابن سيده : يقال فى الطائر : عبَّ ، ولا يقال : شَرِب ، والهدير : ترجيع الصوت ومُواصلتُه من غير تقطيع له ؛

قال الرافعىّ : والأشبه أنّ ماعب هدر ، قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم ؛ ويدل عليه أنّ الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل : وما عب من الماء عبًّا فهو حمام ، وماشرب قَطرة قطرة كالدَّجاج فليس بحمام .

٣ — ابن خلدون[1]

فصل من مقدّمته فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلا ، يُلْقِى[2] عليه أولاً مسائلَ من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب ، ويُقَرِّبُ له فى شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى فى ذلك قوةَ عَقله واستعداده لقبول مايرد عليه ، حتى ينتهى إلى آخر الفن . وعند ذلك يحصُل له مَلَكة فى ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتُها أنها هيَّأته لفهم الفن ، وتحصيل مسائله . ثم يَرْجِعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهىَ إلى آخر الفن ؛ فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا[3] ، فلا يترك عويصاً ولا مُبهَماً ولا مُغْلَقاً إلا وضحه ، وفتح له مُغلَقَه فيخلُص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو — كما رأيت — إنما يحصل فى ثلاث تكرارات ،

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه وبمقدمته التى ننقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى فى مناصب عدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتى : وعليه أى على المتعلم .

(٣) شدا : أخذ طرفا من الأدب .

وقد يحصل البعض فى أقل من ذلك بحسب ما يُخْلَق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويُحْضِرون المتعلم فى أول تعليمه المسائل المقْفلة من العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلها ، ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وَعْىَ ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مباديها ، وقبل أن يستعدّ لفهمها ، فإنّ قبول العلم والاستعدادات لفَهمه تنشأ تدريجيا ؛ ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لايزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة[1] مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ؛ والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة فى الاستعداد ، ثم فى التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا ألقيت عليه الغايات فى البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى فى هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

٣ — المقريزى[2]

من خطبة كتابه : « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » :

وبعد ، فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخَطرا ، لما يَحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ،

---

(١) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٢) هو تقى الدين المقريزى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعراً كاتباً مؤرخا توفى سنة ٨٤٥ هـ .

والاطلاع على مكارم الأخلاق ليُقتَدَى بها ، واستعلام مَذَامِّ الفعال لِيَرْغَبَ عنها أولو النهى . لا جَرَم أنْ كانت الأنفس الفاضلة به وامقةً[١] ، والهِمَمُ العالية إليه مائلةً وله عاشقةً . وقد صنف الأئمة فيه كثيراً وضمَّن الأجلة كتبهم منه شيئاً كبيراً .

وكانت مصر هى مسقط رأسى ، وملعبَ أترابى ، ومجمع ناسى ، ومَغْنَى عشيرتى وحامَّتى[٢] ، وموطنَ خاصَّتى ، وعامَّتى ، وجوِّى الذى رَبَّى جناحَىَّ فى وكره ، وعشّ مآربى فلا تهوَى الأنفس غير ذكره ، لا زلتُ مذ شدوت العلم ، وآتانى ربى الفطانة والفهم ، أرغب فى معرفة أخبارها ، وأحِب الإشراف على الكثير من آثارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ؛ فقيَّدتُ بخطِّى فى الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلَّما يجمعها كتاب ، أو يحويها لِعزَّتها وغرابتها إهاب ؛ إلا أنها ليستْ بِمرتَّبة على منوال ، ولا مُهذبة بطريقة واحدة ومثال . فأردتُ أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية ؛ وما بقى بفُسْطاطِ مصرَ من معاهد غيَّرَها — أو كاد — البلى والقدم ، ولم يبق إلا أن يمحو رسمها الفناء والعَدَم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخِطَط والأصقاع ، وحوته من المبانى البديعة والأوضاع ؛ مع التعريف بحال مَنْ أسَّس ذلك من أعيان الأماثل ، والتنويه بذكرى الذى شادها من سراة الأعاظم الأفاضل ؛ وأنثُر خلال ذلك نُكتاً لطيفة ، وحِكماً بديعة شريفة ، من غير إطالة ولا إكثار ، ولا إجحاف يُخل بالغرَض ولا اختصار ، بل وسَطٌ بين الطرفين ، وطريق بَيْنَ بَيْن . . . الخ .

---

(١) وامقة : محبة .

(٢) الحامة . خاصة الرجل من أهله وولده .

٤ — شمس الدين محمد النواجى (١)

قطعة من كتابه « حلبة الكميت » فى أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هى الريح الطيّبة ، ونسيم الريح أوّلها حين تُقْبِل بلِينٍ قبل اشتدادها ، وفى الحديث : « بُعِثْتُ فى نسيم الساعة » أى حين ابتدأتْ وأقبلتْ ، وما أحسن قول بعضهم : نَسِيم الريح نَسِيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع ، الصبا وتسمى القَبول وهى تنفِّس عن المكروب ، والجنوب وهى تجمِّع السحاب ، والشَّمال وهى تمزِّقه ، والدَّبور وهى تَهْدم البُنيان ، وتقلع الشجر ، وهى القاصف والصَّرْصَر . وكلُّ ما فى القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدّبور ، ولازمها العقوبة ، وكل ما فيه من لفظ الرياح فهى راجعةٌ إلى الثلاثة الاوَل ، ويراد بها الرحمة . ومن الحديث : « نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عاد بالدَّبور » . وقيل الرياح ثمانية : أربع فى الجهات الأربع ، وأربع تسمى النَّكْباء لميلها ونكْبها عن الجهات الأربع ، والشّمال من ناحية الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق ، فهبُوبها من تحت بنات نَعش ، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر ، تشد الأعضاء ، وتسُدُّ المسامَّ ، وتحصُر الحرارة فى الباطن ، فينهضم الغذاء وتصفو بها كُدُورة الروح الحيوانى ، الذى فى القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة ، وتقوِّى حواس الدماغ ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال ، وهى قليلة الهبوب ليلا ، وكان الصاحب بن عبّاد يترنم بقول أبى فراس :

هَبّت لنا ريحٌ شمَاليَّة   متّت إلى القلب بأَسباب

---

(١) ينسب إلى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر وله عدة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

أدّتْ رِسالاتِ الهوىٰ بيْننا عرفتها من بين أصحابى

قلت : والله إن الصاحب بن عبّاد لمعذور ، فإن هذا مما يريح الجماد ، وتجمع الشمال على شمائل ، ولذلك يحسن فيه التَّوْرية . ومنه قول الشيخ تقى الدين ابن حجة :

جاد النسيمُ على الرُّبا بندَى يديه وقال لى :
أنا ما أقصِّر عن ندًى وكما علمتَ شمائلى

والصَّبا تَهُبُّ من مطلع الشمس وتُسمى القَبول ، ويقابلها الدَّبور وهى معتدلة ولا سيَّما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع ، وهى لطيفة صافية ، تذكى الأذهان ، وتنفع الأبدان ، وتبسُط الأخلاق ، لا سيما إن مرت بمُرُوج الأزهار فإنها تحمل قُواها إلى القلب والدماغ . . الخ .

٥ — ابن خلكان[١]

قطعة من كتابه « وفيات الأعيان » :

كتب يترجم لأبى طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى قاسم بن زيادة الشَّيبانى البغدادى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيان الأماثل[٢] ، والصدور الأفاضل ، أنتهت إليه المعرفة بأمور

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الأربلى ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل فى البلاد حتى نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس فى عدة مدارس . وتوفى سنة ٦٨١ هـ . اشتهر بكتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب مفيد فى تاريخ الأشخاص .

(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل .

الـكتابة والإنشاء والحساب ، مع مشاركتِه فى الفقـه وعلم الـكلام(١) والأصول وغير ذلك . وله النظم الجيد . جالسَ أبا منصور بن الجَوَالِيقى ، وقرأ عليه وعلى من بعدَه ، وسمع الحديثَ من جماعةٍ . وخدم الديوان — من صباه إلى أن تُوُفِّىَ عدّة خدمات . وكان مليح العِبارة فى الإنشاء ، جيدَ الفـكرة حُلْو الترصيع ، لطيف الإشارة . وكان الغالب فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجْع . وله رسائل بليغة ، وشعر رائق ، وفضـله أكثر من أن يذكر . وتولى النظرَ بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتِّب حاجباً بباب المتولى ، وقُـلِّد النظرَ فى المظالم ثم عُزل عن ذلك .

٦ — الديار بكرى(٢)

وصف استيلاء التتار على بغـداد ، من كتابه : « الخميس ، فى أحوال أنفس نفيس » .

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحى الرى ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الـكامل محمد ، صـاحب مَيَّافارقين ، إلى خدمة هولاكو : فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفى أول سنة خمسٍ وخمسين وستمائةٍ ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية

---

(١) علم الـكلام : علم التوحيد .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة إلى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ، وتوفى بها سنة ٩٨٢ هـ .

والرافضة أدت إلى نهبٍ عظيم وخرابٍ ، وقتل عِدّة من الرافضة ، فغضب لها وتنمر ابن العلقمى الوزير ، وجسّر التتارَ على العِراق ليشتفىَ من السنيّة .

وفى أول سنة ست وخمسين وستمائةٍ وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى ابن جنكيز خان المغولى ، بغدادَ بجيوشه وبالكَرَج وبعسكر الموصل ، فخرج الدويدار بالعسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقلّتهم ، ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيها ، ونزل هولاكو من شرقيها . فقال الوزير ابن العلقمى خليفة المستعصم بالله : إنى أخرج إلى القاءان الأعظم فى تقرير الصلحِ . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغِب فى أن يزوّج بنته بابنك . وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم فى أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضُروا العَقْد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها ، وأخذ كلٌّ ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ، وقلّ من سلم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وثمانمائة ألف وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدّده إن لم يخرب أسوار بلاده .

أكذا فى « دول الإسلام » .

وفى تاريخ الجمالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل الهمة ، مهملاً للأمور المهمة ، محباً لجمع المال . أهمل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى ، حتى كان فى ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمى الرافضى كان

كتب كتاباً إلى هولاكو ملك التتار فى الدشت : إنك تحضر إلى بغـداد وأنا أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللّعين الـكفر . فـكتب هولاكو : إن عساكر بغداد كثيرة ، فإن كنت صـادقاً فيما قلته ، وداخلا فى طاعتنا ، فرق عساكر بغداد ونحن نحضرُ ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، دخل إلى المستعصم وقال : إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدوّ قد رجع من بلاد العجم ، والصواب أنك تعطى دستوراً لخمسة عشر ألفاً من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بهـا . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفاً من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بمـا فعل . وكان قصد الوزير بمجىء التتار أشياء منها : أنه كان رافضياً خبيثاً ، وأراد أن ينقل الخلافة من بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ، فأفـكر أن هولاكو إذا قدم يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سـبيله ، وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقى هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملـكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع لضعف العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف فى أهل السُّنَّة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولـما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ، وصـــار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغـداد ، ومشى عليهم هولاكو بعساكره فقاتلوه قتالا شديداً ، وصبر كل من الطائفتين صبراً عظيما ، وكثرت الجرحى والقتلى فى الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر

هولاكو أقبح كسرة ، وانساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورءوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدوّ ، فأرسل الوزير ابن العلقمى فى تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، فغرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقى فرساً يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، وأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردهم ، فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ووقع منهم ما يطول شرحه .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيراً ، ثم بذل السيف فى المسلمين ، فلم يرحم شيخاً كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيراً هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد وأنزله بمخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم فى عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده فى عِدلين[1] وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل فى نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين إلى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بعض بنى العباس فى الخلافة حسبما يأتى ذكره على سبيل الاختصار .

---

(١) العدل بكسر العين : الجوالق : الشوال .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسرة منهم   فعليهمُ حتى الممات سلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف فى أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف فى أهل السنة والرافضة كلهم وهو فى منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده فلم يلبث أن أمسكه هولاكو بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بألفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير فى مخدومه ولا فى دينه ، فكيف يكون له خير فى هولاكو ؟ ثم إنه قتله شر قتلة ، فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة .

إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

٧ — الشيخ شهاب الدين الأبشيهى (١)

قطعة من كتابه « المستطرف ، من كل فن مستظرف » فى علو الهمة وشرف النفس :

أما علُو الهمة فهو أصل الرياسة ، فمِمَّن علتْ همته ، وشرُفتْ نفسُه عُمارة بن حمزة قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه ، فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبَنى ضَيْعتى ! فقال المنصور : ياعمارة قم فاقعد مع خَصمك ، فقال : ما هُوَ لى بخصم ، إن كانت

---

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرّفنى به أمير المؤمنين ورفعنى ، وأقْعُد أدنى منه ، لأجل ضيعة !

وتحدّث السفّاحُ هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفْس عمارة وكبره ، فقالت له : ادع به وأنا أهَبُ له سُبْحَتى هذه ، فإن ثمنها خمسون ألف دينار ، فإن هو قبلها علمْنا أنه غير نزه النفس . فوجه إليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت هى من الطرَف ، وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها فقالت : لعله نسيها . فبعثت بها إليه مع خادم ، فقال للخادم : هى لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لى ، فأعطتْ أمُّ سلمة للخادم ألف دينار ، واستعادتْها منه .

وأهدى عُبيد الله بنُ السرى إلى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه إليه بذلك ليلا ، فرده وكتب إليه : لو قبلتَ هديَّتكَ ليلًا لقبلْتها نهارا ، «فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ » .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عَمُوريّةَ أن امرأةً من الثّغْر سبيَتْ فنادت : واحمداه ! وامعتصماه ! فبلغه الخبرُ . فركب لوقته ، وتبعه الجيش . فلما فتحها قال : لبيك أيتها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة[1] وهمة ، قيل له فى مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين ، وإلى شرح ما به إلى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع اللهُ منى أنينا ، فأكون عنده جزُوعا . وأما وصف ما بى إلى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله فى نفسى ، إن شاء أمْسكها ، وإن شاء قبضها .

---

(١) النخوة : الافتخار والتعظم ، يريد هنا : شجاعة النفس .

ومن كبر النفس ما رُوى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ، ولم يخبر أحداً بحاجته .

ومن الشرف والرياسة : حفظُ الجوار وَحَمْىُ الذِّمار[١] . وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو إليه ، وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك اخترتنى جارا ، واخترتَ دارى دارا ، فجنايةُ يَدِكَ علىَّ دونك ، وإن جَنَتْ عليك يدٌ فاحتكم حكم الصبىّ على أهله[٢] .

وكان الفَرَزْدق يُجير من عاذَ بقبر أبيه غالب بن صَعْصَعة ، فممن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب ، خافتْ لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يُسميها وينسبها ، فعاذتْ بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال :

عجوزٌ تصلى الخمسَ عاذتْ بغالب ... فلا والذى عاذت به لا أضيرُها

وقال مَرْوانُ بْنُ أبى حفصة :

هُمُ يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لجارهم بين السِّماكَيْن[٣] منزلُ

(١) الذمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن .
(٢) أى اقض بما شئت ، فنحن نازلون على حكمك .
(٣) السماكان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك الأعزل .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الكتاب فى غرة صفر سنة ١٣٧٣ ﻫ
الموافق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣ م) بمطابع دار الكتاب العربى بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى